العلاقات التجارية الخارجية لبلاد الأندلس

(138-422هـ/ 755-1030م)

قدمت من قبل:

إسماعيل إبراهيم عبد الله المجبري

تحت إشراف:

أ.د .إدريس صالح الحرير

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ.

جامعة بنغازي

كلية الآداب

ابريل2019

Copyright © 2019.All rights reserved, no part of this thesis may be reproduced in any form, electronic or mechanical, including photocopy , recording scanning , or any information , without the permission in writhing from the author or the Directorate of Graduate Studies and Training university of Benghazi .

حقوق الطبع 2019 محفوظة . لا يسمح اخذ اى معلومة من اى جزء من هذه الرسالة على هيئة نسخة الكترونية او ميكانيكية بطريقة التصوير او التسجيل او المسح من دون الحصول على إذن كتابي من المؤلف أو إدارة الدراسات العليا والتدريب جامعة بنغازي

جامعة بنغازي

كلية الآداب

قسم التاريخ

العلاقات التجارية الخارجية لبلاد الأندلس

(138-422 هـ/ 755-1030 م)

اعداد

إسماعيل إبراهيم عبد الله المجبري

نوقشت هذه الرسالة واجيزت بتاريخ : **24.4.2019**

تحت اشراف

أ.د. إدريس صالح الحرير

التوقيع:.....

الدكتور:.....**(ممتحنا داخليا)**

التوقيع:.....

الدكتور: .....**(ممتحنا خارجيا)**

التوقيع:.....

عميد الكلية **مدير ادارة الدراسات العليا والتدريب بالجامعة**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم

درجَٰت والله بما تعملون خبير ﴾

صدق الله العظيم

سورة المجادلة : الآية 11

الإهـــداء

إلى روح أبي الراحل الذي علمني كيف امسك بالقلم و كيف اخط الكلمات بلا ندم..

وإلـــى أمـــي الغاليـــة ، وإلـــى إخـــوتي وأخـــواتي، "خاصـــة" أخـــي الفاضـــل: "يوســـف إبـــراهيم المجبري" وإلى ابني "إبراهيم".

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مدّ لي يد العون في إنجاز هذه الرسالة، وأخصّ بالذكر الدكتور " إدريس الحرير" لما كان له من دور كبير بإرشادي ومساعدتي وجهده الذي بذله لاستكمال هذه الرسالة، كذلك الشكر موصول إلى أساتذتي الفضلاء الذين قاموا بتدريسي في المرحلة التمهيدية. كما أشكر أختي (مبروكة المجبري) لما كان لهما من فضل كبير في مساعدتي لإتمام رسالتي.

فهرس المحتويات

الموضـــوع **رقم الصفحة**

حقوق الطبع ..... ب

صفحة التوقيعات ..... ج

الآية ..... د

الإهداء ..... هـ

الشكر ..... و

الفهرس ..... ز – ط

الخلاصة..... ي

المقدمة..... 1 – 6

الفصل التمهيدي: (أوضاع الأندلس قبل الفتح الإسلامي)

أ. أوضاع الأندلس قبل الفتح الإسلامي..... 8

ب– أحوال الأندلس قبل الفتح..... 11

ج– الحالة السياسية للأندلس..... 13

د– الحالة الدينية..... 15

هـ–الحالة الاجتماعية..... 18

و– الحالة الاقتصادية..... 19

الفصل الأول: (العوامل التي ساعدت على الازدهار الحضاري في الأندلس)

1 الموقع الجغرافي..... 25

أ– المناخ..... 27

ب- التضاريس..... 28
2- استتباب الأمن وتوحيدها إدارياً (عهد الإمارة)..... 32
أ. القضاء على الثورات وحركات التمرد..... 32
ب- تأمين الطرق التجارية..... 40
ج-الأندلس في عهد الخلافة..... 42
2- التطور الزراعي والصناعي والعمراني..... 47
أ. التطور الزراعي..... 47
ب . التطور الصناعي..... 53
ج . التطور العمراني..... 60
الفصل الثاني: (الموانئ والمراكز والطرق التجارية في الأندلس)
1. الموانئ والمراكز التجارية..... 64
2- الطرق البرية..... 74
3. الطرق النهرية..... 77
4- الطرق البحرية..... 79
الفصل الثالث: (الصلات التجارية الخارجية لبلاد الأندلس)
1. العلاقات مع المغرب والسودان..... 88
أ. الصادرات الأندلسية نحو بلاد المغرب والسودان..... 91
ب- السلع المستوردة من بلاد المغرب والسودان..... 97
2- العلاقات التجارية مع بلاد المشرق..... 102
أ. الصادرات الأندلسية إلى بلاد المشرق..... 104

ب- الواردات الأندلسية من بلاد المشرق..... 110

3- العلاقات التجارية الأندلسية الأوروبية..... 111

أ. الصادرات نحو البلاد الأوروبية..... 115

ب- الواردات الأندلسية من البلاد النصرانية..... 119

ج- الصادرات الأندلسية للممالك الاسبانية..... 125

د- الواردات الأندلسية من الممالك الاسبانية..... 126

قائمة المصادروالمراجع..... 132

الملاحق..... 155

الخلاصة باللغة الانجليزية

العلاقات التجارية الخارجية لبلاد الأندلس

(138-422هـ/ 755-1030م)

قدمت من قبل:

إسماعيل إبراهيم عبد الله المجبري

تحت إشراف:

أ.د .إدريس صالح الحرير

الخلاصة

لقد كان لبلاد الأندلس، صلات تجارية خارجية بالدول المجاورة لها القريبة منها والبعيدة، الأمر الذي أدى إلى زيادة في ازدهارها اقتصاديا. حيث تناولنا في هذه الرسالة أوضاع الأندلس قبل الفتح الإسلامي لها ناقشنا فيه مصطلح الأندلس ومدلوله، كذلك أحوالها قبل الفتح، وعند حديثنا عن العوامل التي ساعدت على الازدهار الاقتصادي، تناولنا الموقع الجغرافي للأندلس وما كان له من دور في التطور الاقتصادي لها، ذكرنا كذلك استتباب الأمن وتوحيد الأندلس في عصر الإمارة والخلافة، وماله من دور في التطور الزراعي والصناعي والعمراني، وبيّنا خلال دراستنا الموانئ و المراكز والطرق التجارية للأندلس، ومالها من دور في تنشيط التجارة بالأندلس. ثم تطرقنا على الصلات التجارية الخارجية لبلاد الأندلس، وكيف كانت تختلف من منطقة إلى أخرى بحسب الأوضاع الأمنية للمنطقة. حيث شملت العلاقات مع المغرب والسودان، كذلك العلاقات مع بلاد المشرق، والعلاقات التجارية الأندلسية الأوروبية، وأخيراً العلاقات التجارية والممالك الإسبانية.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً، وأشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، وبعد:

يُعتبر تناول العلاقات التّجارية الخارجية لبلاد الأندلس من الموضوعات الهامة التي تشغل جانبا مهما لا غنى عنه، عند دراسة الحضارة الإسلامية فقد كان لهذه العلاقات فضلاً كبيراً في صناعة الأندلس اقتصادياً، ولقد كثرت الدراسات التي تناولت تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، ولكن هذه الدراسات انكبت في معظمها على معالجة النواحي السياسية والأدبية، أما الدراسات الاقتصادية فتكاد تكون نادرة، ومن هنا جاء اختيارنا لموضوع العلاقات التجارية الخارجية لبلاد الأندلس"138هـ/422هـ"، "755م/1030م" موضوعا للبحث وذلك لأن أكثر ما ألف وكتب عن هذا الموضوع لا يتعدى في معظمه مقالات مستقلة، أو ما نجده في الكتب التاريخية العامة، والتي على الرغم من أهميتها العلمية للباحث والقارئ إلا أنها لا تفي بالغرض، لأنها في معظمها تتحدث عن النّواحي السياسية، ولعل السبب في عزوف الباحثين في تناول هذا الموضوع في هذه الفترة بالذات؛ يرجع إلى عدم وفرة المعلومات والمصادر الأصلية الكافية التي تتناولها مع قلة ما كتب عنها.

وقد كان اختياري لهذا الموضوع محاولة لتوضيح العلاقات التجارية الخارجية لبلاد الأندلس "138هـ/422هـ"، "755م/1030م"، نشأتها، تطورها، كذلك العوامل التي ساعدت على الازدهار الاقتصادي للأندلس والتي تتمثل في أهمية الموقع الجغرافي للأندلس، وما كان لها من دور مهم

وكبير في ازدهار هذه التجارة، وعلى أهم الموانئ والمراكز التجارية، كذلك الطرق والممرات والمنافذ البريّة والبحريّة والنّهرية، وعلاقتها تجارياً مع الدّول المجاورة.

أما أهداف هذه الدراسة منذ البداية؛ هو تسليط الضوء على الحركة التّجارية الخارجية لبلاد الأندلس ودورها في تنشيط الاقتصاد وإشاعة الازدهار والرخاء بين الأندلسيين، كما هدفت إلى إبراز دور التجارة في تفعيل علاقات الدولة الأموية في الأندلس مع الدول المجاورة لها او البعيدة عنها، سواء أكانت نصرانية أو إسلامية. وسوف نعتمد في هذه الدراسة على المنهج السردي التحليلي، لما لهذا المنهج من إمكانية تناول مفردات الظاهرة التاريخية بالتحليل والمقارنة.

أما الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذه الرسالة، قلة المصادر التّاريخية التي تولي أهمية للتجارة والتّجار، بقدر ما كانت توليها للأدب والفكر والسياسة، فإننا لم نجد كتب مخصصة لهذا الموضوع وإنما وجدت تراجم لبعض العلماء، الذين كانوا يشتغلون بالتجارة بالإضافة إلى اشتغالهم بالعلوم، حتى إن الذين كتبوا في هذا الموضوع جاءت كتاباتهم في جزئيات تكاد تكون بسيطة، الأمر الذي دفعني لدراسة هذا الموضوع وجمع الجزئيات، لتصبح بعون الله موضوعا مترابطا مستقلا. وكذلك إقفال "جامعة بنغازي" وقفل مكتباتها، وإغلاق المكتبة الوطنية بسبب الأحداث التي كانت تمر بها مدينتي الحبيبة بنغازي.

أما الدراسات السابقة التي تناولت موضوع التجارة الخارجية لبلاد الأندلس؛ فتعتبر قليلة جداً بالمقارنة بالموضوعات الأدبية والسياسية والفكرية للأندلس كما ذكرنا سابقاً، ولعدم ذكر المصادر بشكل واسع لهذا الموضوع. ومن أهم الكتب التي تحدثت عن هذا الموضوع :-

كتاب الدكتور "محمد ضيف البطاينة/ الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى" يحوي هذا الكتاب على معلومات قيمة عن الاقتصاد الإسلامي.

وكذلك كتاب " د.منى حسن محمود/ المسلمون بالأندلس وعلاقتهم بالفرنجة" كما يعتبر هذا الكتاب من المؤلفات الغزيرة بالمعلومات القيمة عن الأندلس، وخاصة العلاقة السياسية والاقتصادية بالفرنجة.

وأيضاً كتاب " أوليفيا ريمي كونستابل/ التجارة والتجار بالأندلس" وهو كتاب قيم جدا من حيث غزارة معلوماته بما يخدم موضوع رسالتي.

واعتمدت في الدراسة على مجموعة من المصادر التاريخية الأولية والمراجع الحديثة، سواءاً العربية منها أو المترجمة، ويأتي مقدمة هذه المصادر/ ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك الكردبوس/ كتاب تاريخ الأندلس. يعد من المصادر الهامة في التاريخ الأندلسي، حيث يورد بعض المعلومات التي يكاد ينفرد بها عن غيره من المؤرخين، وقد استفدت منه في الفصل الثالث.

- مؤلف مجهول: كتاب" الأخبار في فتح الأندلس وذكر أمرائهم والحروب الواقعة بينهم" نشر هذا الكتاب المستشرق الألماني "لافونتي إلكنتر" وقد أفاد الدراسة كثيراً خصوصاً عند الحديث عن الصراعات والخلافات التي سادت الأندلس، كذلك أثناء الحديث عن عصر عبد الرحمن الداخل.
- ابن الآبار " أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي، و كتابه (الحلة السيراء)" ويعد هذا الكتاب من المصادر الأساسية عن تاريخ الأندلس، وكلمة الحلة السيراء تعني الثوب المخطط والمزركش، عناية عما ينظمه من آداب وشعر وتاريخ، وتناول فيه تاريخ المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي حتى القرن السابع الهجري، وقد استفدت منه في الفصل الأول.
- ابن عذاري المراكشي "أبو العباس أحمد بن محمد، وكتابه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" يعد كتابه من المصادر الأساسية التي اعتمدت عليها الدراسة، فهو يتناول تاريخ

المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي، حتى سقوط الخلافة الأموية. وقد أفاد الدراسة في أغلب فصول البحث.

- ابن الخطيب الوزير لسان الدين محمد بن عبد الله " ابن الخطيب السلماني، وكتابه الإحاطة في أخبار غرناطة"، ويتكون من أربع أجزاء، ويعدّ كتابه موسوعة تاريخية عن مملكة غرناطة، منذ نشأتها حتى الفراغ، ولقد استفدت منه في الفصلين الأول والثالث.
- المقري "شهاب الدين أحمد التّلمساني"، وكتابه نفح الطّيب في غصن الأندلس الرطيب، ويعتبر كتابه مصدر أساسي عن تاريخ الأندلس ويمتاز بأنه قدم معلومات وافرة عن الفتح الإسلامي للأندلس، وقد أفاد الدراسة في أغلب فصولها.
- الإدريسي " أبو عبد الله الشريف محمد بن محمد" كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الأفاق). ويقع كتابه في جزأين وهو مصدر جغرافي هام واعتمدت عليه في دراسة الفصل الأول.
- الحموي " أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي البغدادي"، وكتاب (معجم البلدان). يقع كتابه في سبعة أجزاء وهو معجم جغرافي وهو كتاب تاريخ، وآداب، شمل كل أنحاء العالم الإسلامي، وقد أفاد الدراسة كثيراً.
- الحميري " أبو عبد الله محمد بن الفتوح بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري" كتاب: الروض المعطار في خير الأقطار). يعدّ كتاباً جغرافياً جاء مرتباً حسب حروف المعجم، ويمتاز بأنه يحتوي على معلومات تاريخية بالإضافة إلى المعلومات الجغرافية، وقد اعتمدت عليه الدراسة في العديد من الموضوعات.

***المراجع الحديثة، أهمّها:**

– محمد بن عبد الله عنان، كتاب (دولة الإسلام في الأندلس).

وهو عدّة أقسام، يبدأ بفتح الأندلس وينتهي بعهد الناصر، وهو مرجع هام لا يستطيع أي باحث الاستغناء عنه لما يحتويه من معلومات قيمة، أفادت الدراسة كثيراً.

– عبد الرحمن علي الحجي كتاب (الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة).

وهو مرجع هام، عن التاريخ الأندلس من الفتح وحتى خروج المسلمين من الأندلس عام "897هـ/ 1492هـ"، وقد أفادنا في الفصل التمهيدي.

. السيد عبد العزيز سالم (كتاب: في تاريخ وحضارة الأندلس).

ويعتبر هذا الكتاب ذو قيمة عالية، وقد استفدت منه في الفصل الثاني.

***أما المراجع الأجنبية المترجمة:**

. س.ج كولان (كتاب: الأندلس) يعد من المراجع القيمة التي أفادت الدراسة، خاصة من الجانب الاقتصادي في الأندلس.

. ليفي برفنسال (كتاب: الحضارة العربية إلى اسبانيا).

ترجمه: الطاهر أحمد مكي، ويعدّ من الكتب التي استفدت منها كثيراً خاصّة في الفصل الثالث.

. أوليفيا ريمي كونستابل (كتاب التجارة والتجار في الأندلس).

ترجمه: الدكتور فيصل عبد الله، ويعتبر من الكتب القيمة والغزيرة بالمادة العلمية التي استفدت منها، وخاصة في الفصل الثالث، بالإضافة إلى عدد لا بأس به من المصادر والمراجع التي استعنت بها في إعداد فصول و فقرات هذه الرسالة.

أما فيما يخص خطّة الرسالة؛ فسوف يتم تقسيم الرسالة إلى ثلاث فصول إضافة إلى فصل تمهيدي والمقدمة والخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع،وملحق للخرائط.

الفصل التمهيدي وبعنوان " أوضاع الأندلس قبل الفتح الإسلامي".

وسنتناول فيه: مصطلح الأندلس ومدلوله، واختلافه بحسب القبائل التي سكنت المنطقة وكذلك الغزاة الذين غزوها، حتى أطلق المسلمون عليها اسم " الأندلس". ثم سنتطرق إلى (أحوال الأندلس قبل الفتح الإسلامي)، وكيف تعاقبت عليها أقوام عدة قبل الفتح الإسلامي، كما سنذكر الحالة السياسية والدينية، والاجتماعية، والاقتصادية للأندلس قبل الفتح الإسلامي لها.

أما الفصل الأول وعنوانه " العوامل التي ساعدت على الازدهار الحضاري للأندلس".

وسنتطرق فيه على الموقع الجغرافي للأندلس، واستتباب الأمن، وتوحيد الأندلس إدارياً، كذلك التّطور الزّراعي والصناعي والعمراني.

الفصل الثاني ويحمل عنوان " الموانئ والمراكز والطرق التجارية في الأندلس".

نتناول فيه أهم الموانئ والمراكز التجارية، والطرق البريّة والبحريّة، والنّهرية للأندلس.

وسيكون الفصل الثالث بعنوان " الصّلات التّجارية الخارجيّة لبلاد الأندلس".

سنتحدث فيه عن العلاقات مع المغرب والسودان، كذلك العلاقات مع بلاد المشرق، وكذا العلاقات التجارية الأندلسية الأوروبية، والعلاقات التجارية بين الأندلس والممالك الإسبانية.

والله ولي التوفيق.

الفصل التمهيدي

(أوضاع الأندلس قبل الفتح الإسلامي)

1- مصطلح الأندلس ومدلوله.

2- أحوال الأندلس قبل الفتح:

أ . السكان.

ب . الحالة السياسية.

ج . الحالة الدينية.

د . الحالة الاجتماعية.

هـ . الحالة الاقتصادية.

أوضاع الأندلس قبل الفتح الإسلامي:

أوَلاً:- مصطلح الأندلس :

لقد أطلق المسلمون اسم الأندلس على شبه الجزيرة الإيبيرية(اسبانيا –البرتغال) التي حكموها من سنة "92 هـ 711م \ 898 هـ 1492م" إلاَ أنَ هناك خلافاً كبيراً حول أصل هذه التسمية[1] .

فأقدم هذه الأسماء التي عرفت بها:. (أفيوسا) أي بلاد الحيات بعد هذا كان الأقوام التي تسكن جزءاً منها، يطلق عليه اسماً لا يلبث هذا الاسم أن يعمم فيصبح علماً لشبه الجزيرة[2]. ولعلّ أرجح هذه الأقوال التي وردت بهذا الخصوص هي تلك التي ترجع أصلها إلى (قبائل الوندال) الذين استوطنوها، ويسميها ابن الأثير(بالأندلش) حين يقول أنّ أول من سكنها يعرف (بالأندلش) بشين معجمة فسُمي البلد بهم، ثمّ بعد ذلك بسين مهملة[3]. وفي القرن الخامس قبل الميلاد أسّس الإغريق بعض المراكز الاستعمارية في شبه الجزيرة، فأطلقوا على بعض سواحلها اسم: (إيبيريا) ثم ما لبث هذا الاسم أن أطلق على شبه الجزيرة كلها، ثم سميت بعد ذلك (باطقة) من وادي بيطر وهو نهر قرطبة، ثم جاء الرومان فسموها (هسبانيا)، ولعلّ اسم اسبانيا الذي يطلق على جزء كبير من بلاد الأندلس اليوم مأخوذاً من هذه التسمية، كما أطلق المسلمون على شبه الجزيرة (الأندلس) وهذا الاسم لا يزال علماً في المنطقة الجنوبية من اسبانيا الحالية، والتي تضمّ كل من قرطبة وغرناطة و اجيان واشبيليا.

ولعلّ العرب اشتقوا هذه التّسمية من كلمة (واندالوس)؛ وهي اسم قبائل الوندال الجرمانية التي اجتاحت أوروبا وأعطوه اسمها. ثمّ جاء العرب المسلمون وعرّبوا هذا الاسم إلى الأندلس[4] وأطلقوا هذا الاسم على كل المناطق التي شملها حكم المسلمين حتى وراء جبال ألبرت وجنوب فرنسا

---

[1]- عزّ الدين أبي الحسن ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 4 ، ب ت ، تحقيق عبد السلام التذمري، (بيروت : دار الكتاب الوطن 2010)، صـ 35 .

[2]- أحمد بدر ، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح وحتى الخلافة ، طـ 2، (دمشق 1966)، صـ 5.

[3]- ابن الأثير الكامل في التاريخ ، جـ4 ، صـ 35.

[4]- بدر دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح ومن الخلافة ، صـ5.

الحالية[1]. ويقول الحميري أن أصل لفظة الأندلس يعود إلى (الأندلش الذين سكنوها)[2]. وكانت هذه البلاد قبل ذلك أي قبل أن تسمى أندلساً (اسبانية)، وهو اسم مشتق من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه (أشبان)، وقيل سميت بالأشبان الذين سكنوها في الأول من الزمان[3].

بمعنى أنها لم تسمى (بالأندلس) إلا بعد مجيء العرب إليها، يقول كولان:- (يرتبط اسم الأندلس فرضاً باسم الوندال (الأندليش) الذين أطلقوا على بايتيكا اسم (ونداليشيا) عندما عبروا شبه جزيرة إيبيريا قبل غزوهم لشمال إفريقيا[4]. ويرى اشكيب أرسلان أن الأندليش أو الفانذالس (جيل من النّاس كانوا يسكنون بين نهر (الأودر) ODER ونهر (الفيستول) Vistule في شرق ألمانيا)، ويقول أنهم من أصل جرماني، ويقال أن بعضهم من أصل سلافي أو صقلي كما يقول العرب، وهؤلاء الفاندالس زحفوا من الشمال إلى الجنوب حيث بلغوا بوغاز جبل طارق، وذلك سنة "411" قبل المسيح. ومن هناك أجازوا إلى إفريقيا، فلما عرفهم أهل إفريقيا أطلقوا اسمهم على البلاد التي جاءوا منها وسموا هذا البلاد بالأندلس[5].

(أما العرب فأخذوا اسم الأندلس من اسم سكانها الأصليين (الفانداليس) فقالوا:- (فانداليسيا) ، (فاندالوزيا)، وأطلقوا عليها اسم الجزيرة من باب التغليب فقالوا عليها:-(جزيرة الأندلس)، كما قالوا جزيرة العرب و ما هي في الحقيقة إلا شبه جزيرة لاتصالها بأقصى الشمال بجبال (البيرنات) أو (الثانايا) كما كان يعرفها العرب[6]) .

---

[1]- شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ج1، ب.ط ، ب. ت، (بيروت نشر دار مكتبة الحياة)، صـ 32.

[2]- أبو عبد الله محمد الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ،ط20 . ت. إحسان عباس، (بيروت، مكتبة لبنان)

[3]- المصدر السابق ، صـ 5.

[4] ج-س كولان ، الأندلس، ج1، 1980 (بيروت دار الكتاب اللبناني، القاهرة،ودار الكتاب المصري القاهرة)، صـ 58.

[5] أرسلان، الحلل السياسية في الأخبار والآثار الأندلسية ج1، صـ 32 .

[6] محمد كرد علي غابر الأندلس وحاضرها، ط_1 (القاهرة، المطبعة الرحمانية، إدارة المكتبة الأهلية سنة 1923م، صـ13.

قال ابن سعيد:- إنما سميت بالأندلس من طوبال بن يافث ابن نوح، لأنها نزلها كما أنّ أخيه سبت بن يافث نزل العدوة المطلة لها وإليه تنسب سبث. قال:- وأهل الأندلس يحافظون على قوام اللّسان العربي، أي أنهم عرب أو متعربون، وقال ابن غالب:- إنه أندلس بن يافث والله أعلم.[1].

وأقدم أسماء الجزيرة هو "إيبيريا" نسبة إلى الإيبريين الذين كانوا من أقدم من سكنها، ولما استولى عليها الرومان في القرن الثّاني أطلقوا عليها "أسبانيا" أي شاطئ الأرانب، فأطلقوا على هذا الشاطئ كلمة اسبانيا التي جعلها الرومان بعد ذلك علما على شبه الجزيرة كله، وبعد الرومان خضعت شبه الجزيرة لقبائل الوندال فسمي هذا الجزء "Vandelisia" نسبة إلى هذه القبائل، وهو الاسم الذي اختاره المسلمون عندما نزلوا هذه البلاد فجعلوه بعد ذلك نوع من التّعريف "الأندلس"؛ كما جعلوه على شبه الجزيرة كله[2].

ونحن عندما نقول الأندلس فإننا نعني ما ساده العرب من شبه الجزيرة الإيبيريّة "اسبانيا والبرتغال" لأن العرب عندما فتحوا الأندلس كله إلى جبال "ألبرت" وإلى خليج "بسكاي" الذي يسميه العرب حائط "الفرنجة" ثم أخذوا يتراجعون شيئاً فشيئاً حتى قامت الدولة الأمويّة سنة (138هـ -756م)، كان العرب قد فقدوا الركن الشمالي الغربي لشبه الجزيرة، واستمرّ سلطان العرب على بقية البلاد حتى سقوط الخلافة الأمويّة الأندلسية سنة (422هـ - 1030م).

وبعد ذلك أخذوا ينحصرون ويفقدون أجزاءاً أخرى من شبه الجزيرة، ولكن لفظ الأندلس ظل يطلق على ما بعد المسلمين من شبه الجزيرة، حتى اقتصر بالنهاية على مملكة غرناطة في الرّكن الجّنوبي من شبه الجزيرة وهو يمثل ثمن مساحتها. ومع ذلك ظل يسمى الأندلس وفي النهاية عندما لم يبقَ في يد المسلمين إلا مدينة غرناطة كانت هي الأندلس[3].

---

[1]- المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1 – ت.د إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1988م)، صـ125.

[2]- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط.3، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1984م)، صـ125.

[3]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط2، (القاهرة : دار الرشاد سنة 1997م)، صـ163.

هذا مايتعلق بتسمية الجزيرة واشتقاقتها، ومما سبق يتضح أنّ تسمية الجزيرة ما كانت ثابتة في الأصل بل كانت تُكتسب من الشعوب التي كانت تسكن هذه الجزيرة، فأول اسم أطلق عليها (أُفيوسا) ثم أصبحت تنتقل من اسم إلى آخر، حتى سماها المسلمون "الأندلس". وقد اختلف في أصل اشتقاق هذه التسمية عند المسلمين قيل:- أصله مأخوذ من قبائل الوندال التي سكنت هذه الجزيرة قبل القوط وقيل كانت تسمية "الأندلس" على مدينة في جزيرة طُريف فأطلق المسلمون على كل شبه الجزيرة، وذلك كعادة غيرهم في تعميم الجزئيات على كل شبه الجزيرة[1].

ثانياً: أحوال الأندلس قبل الفتح:-

تعاقب على بلاد أسبانيا أقوام عدّة قبل الفتح الإسلامي كالإيبريين والكليتين الذين قدموا إليها من الشمال، ومن هذا المزيج تكون الشعب الإسباني القديم Celtiberos؛ ومن ثم جاء الفينيقيون والقرطاجيون الذين توسعوا في السواحل الجنوبية بشبه الجزيرة، ثمّ حلّ الرومان محلهم قرابة ستة قرون، كانت مدّة كافية لإعطاء اسبانيا الطابع الروماني[2].

وقبل الحديث عن حالة الأندلس قبل الفتح الإسلامي لابُدّ من الإشارة إلى السّكان و مكوناتِهم.

أ- السُّكان :-

خضعت شبه الجزيرة الأندلسية لعناصر بشرية مختلفة وحضارات عديدة، فتكون سكانها من خليط بشري مختلف الأجناس والثقافات من قديم العصور، فأول من سكنها الإيبريون ثمّ تعرضت لتأثيرات أسيوية وأوروبية من أمم كانت تفد إليها.

فأوّل الوافدون هم الفينيقيون الذين قدموا إليها في القرن العاشر قبل الميلاد وأقاموا بشواطئها الجنوبية، ثم جاء بعدهم الإغريق في القرن الخامس قبل الميلاد وأقاموا بالشواطئ الشّرقية للجزيرة،

---

[1]- مجموعة من العلماء، دائرة المعارف الإسلامية، د.ط ، ب.ت .

[2]- أحمد مختار العبادي، تاريخ العرب والأندلس، د.ط ، د.ت ، (بيروت: دار النهضة العربية)، ص 33.

ثم جاء من بعدهم القرطاجيون وأسسوا في شرق المدينة مدينة قرطاجنة؛ ثم جاء الرومان واستولوا على شبه الجزيرة بعد صراع طويل مع القرطاجيين، انتهى بانتصار الرومان على القرطاجيين وطردوهم من شبه الجزيرة عام"205" قبل الميلاد، وطال أمد سيطرة الرومان على الجزيرة إلى ما يقرب من سبعة قرون، وكانت هذه مدة كافية لصبغ الجزيرة بالصبغة الرومانية اجتماعياً ولغوياً، وقد ساهم اعتناق كل من سكان البلاد والرومان للدّيانة النّصرانية مساهمة كبيرة في إتمام عملية الانصهار، ومع ذلك كله فإن الحضارة الرومانية لم يتأثر بها كل سكان شبه الجزيرة؛ بل كان تأثيرها قاصراً على الشواطئ الساحلية فقط، باستثناء الساحل الشمالي فإنه لم يتأثر أيضاً[1].

وعندما ضعف سلطان الرومان؛ اجتاحت أراضيها من البرابرة الجرمان، ودخلت منهم اسبانيا (الألان والسويفي والوندال)؛ وهم قبائل جرمانية اجتاحت أوروبا في القرن الثالث الميلادي واقتسمت أراضيها[2].

وبعد ذلك ظهرت قوة جرمانية أخرى القوط الغربيين؛ الذين اجتاحوا أوروبا كلها حتى وصلوا إلى الأندلس في أوائل القرن الخامس ميلادي، واستقروا بها كأمراء تابعين للدولة الرومانية.

ولما ضعف سلطان روما وأصبح يتقلص أطرافها؛ استقل عنهم القوط وأصبح لهم ملكا مستقلا في الأندلس واتخذوا مدينة طليطلة عاصمة لهم[3].

وعندما استقل القوط بحكم الأندلس لم تكن دولتهم مستقرة؛ لأن المجتمع الأندلسي أصبح غير متجانس لاختلاف الغزاة القوط عن السكان الأصليين الذين كانوا يعانون صنوف الشقاء والبؤس والظلم. فقد مزقتهم الحروب عصوراً طويلة من الظلم والإرهاق والإيثار، ولم يكن القوط_في الحقيقة_ أمّة لحل الأزمات، فإنهم لم يمتزجوا بسكان الجزيرة ذلك الامتزاج الذي يجعل الغالب والمغلوب والحاكم والمحكوم أمّة واحدة، بل كانوا يستأثرون بمزايا الغلبة والسيادة، ويتنعمون بامتلاك

[1]- عبد الواحد طه دانون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس ، ج1، (دار المدار الإسلامي 2004م) صـ69.
[2]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 2008)، صـ52-53.
[3]- أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، (القاهرة ،دار أطلس للنشر والتوزيع، 1983)صـ7 .

(الإقطاعات والضياع الواسعة، وكان منهم الحكام والسادة والأشراف. أما سواد الشعب الأعظم؛ فقوامه طبقة متوسطة رقيقة الحال، وزراع شبه أرقاء يُلحقون بالضياع، وأرقاء للسّيد عليهم حق الحياة والموت[1])، إضافة إلى عدم التجانس الديني والمذهبي لأن السكان الأصليين كانوا على مذهب الكاتوليكي، و القوط الذين جاءوا مختلفين عن المذهب الأريوسي.

ومن الطبيعي أن يؤدي هذا الاختلاف بين المذهبين إلى قيام رجال الدين الأندلسيين بمعارضة حكم القوط وتحريض الناس على تقويضه [2]، ولهذا كانت الحروب مستمرة والتنافر موجود حتى اضطر حكّام القوط إلى تغيير مذهبهم كما سنبيّنه لاحقاً.

(وممّا سبق يتّضح أنّ سكان الأندلس كانوا خليطاً من مختلف الأجناس والبلدان، فكان أوّل من استقر في الأندلس هم الفينيقيون الذين جاءوا إليها من آسيا، ثم جاء من بعدهم الإغريق وأسسوا على بلاد الأندلس حضارة ثم غلبهم على شبه جزيرة الأفارقة الذين زالت سلطتهم أمام الرومان، الذين طال حكمهم لشبه الجزيرة لأكثر من ستة قرون).

وتوالت الحروب والهجرات إلى شبه الجزيرة حتى كان آخر المستقرين بها قبل الإسلام هم القوط. ومما لاشك فيه أن هذا التنوع في الأجناس وقيام عدّة حكومات وزوال أخرى أدى إلى اختلاف مستمر في الرأي والحكم عبر كل تاريخ شبه الجزيرة الطويل.

ب- الحالة السّياسيّة للأندلس.

ممّا لاشك فيه أنّ شبه الجزيرة مرت بعدة عهود تاريخية _كما مرّ بنا سابقاً_ وقبل الفتح الإسلامي؛ كانت تحت الحكم القوطي وقد استبد القوط بالحكم، ولم يكن نظام حكمهم ملائماً

[1]- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ط4، (القاهرة: مكتب الخانجي، 1994)،صـ30.
[2]- بدر، دراسة في تاريخ الأندلس وحضارتها، صـ8.

للإستقرار، فقد كان العرش للأقوى، ممّا أفسح المجال لحدوث اضطرابات في سبيل الوصول لعرش الحكم[1].

وكان أغلب الشعب يعيش في شقاء وعناء لسوء الأحوال السياسية، وكانت الخلافات السياسية بين الأمراء وأصحاب المصالح في الدولة تشكل خطراً عظيماً؛ وذلك بسبب الحروب التي كانت تقوم من أجل الوصول إلى الحكم، فما كان أحد يستطيع الوصول إلى الحكم إلا بعد قيام الحروب وإراقة الدماء من أجله[2]، ولمحاولة الإصلاحات والتّخفيف من حدّة الصّراعات أقرّ القوط بمبدأ النظام الانتخابي للحكم، إلا أن هذا النظام لم يستطع أن يمنع المنازعات على العرش؛ لأنّ بعض الملوك نقلوا ملكية العرش لإبنآئهم وتهربوا من القانون المتفق عليه، وهو الحصول على موافقة الناخبين من النبلاء، مما جرّ البلاد إلى حرب أهلية، بدأت هذه الأزمة في عهد الملك (إيخيكا) مضطهد اليهود، وهو الذي تولى الحكم من "680" إلى "700م" والذي عيّن من بعده ابنه "غيطشة" ولياً للعهد وأشركه معه في الحكم من دون الالتفات إلى قانون الانتخابات[3]، وعندما اعتلى "غيطشة" سدّة العرش كانت الأمور قد اضطربت وساءت بسبب المؤامرات المتوالية التي كانت تحاك من كبار القوط[4]، وسبب هذه المؤامرات؛ لأنه كان ملكاً عادلاً في حكمه_مما تقوله بعض الروايات التّاريخية_ حيث أنه ردّ على اليهود سابق حقوقهم وامتيازاتهم، وحد من تسلط رجال الكنيسة على السلطة، فنقموا عليه ودبروا له المكائد لإسقاطه ثورة بعد ثورة ولكنه استطاع إخمادها جميعا، وهدّم جميع المعاقل والحصون الداخلية، لكي يحطّم سلطان خصومه، ويجردهم من جميع وسائل الدفاع والمقاومة، فلم يزدهم البطش والهزيمة إلا الإصرار والخروج والثورة[5].

---

[1]- بدر، دراسة في تاريخ الأندلس وحضارتها ، صـ8.
[2]- سالم، تاريخ المسلمين وأثآرهم في الأندلس، صـ63.
[3]- بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ، صـ10.
[4] - حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط1، (القاهرة : دار الرشاد 1959م)، صـ12.
[5]- عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج1 ، ص32.

ثم اتبع طريقة والده في الوصاية على العرش فخالف قانون الانتخاب، وسعى أن يكون العرش لابنه "وقلة"، فسماه وليا للعهد دون موافقة أحد، وكان ابنه مازال صبياً، ولما مات غيطشة كانت الظروف صعبة، والبلاد منشقة على نفسها بين رجال الدين والنبلاء، وكل الطّامعين إلى السلطة، حتى أفراد البيت المالك نفسه[1]، فوقعت البلاد في الفوضى والانقسام، فعارض كثير من النبلاء عن الخضوع لصبيّ صغير مثل "وقلة". فقد استقلّ بعض النبلاء بالأطراف ودارت الحرب بين المتنافسين، ومضى على هذا الحال عام ونصف، ثم اجتمع النبلاء واعتبروا أنفسهم مجتمعاً له الحق في انتخاب الملك، فاختاروا لذريق خلفا "وقله"، واستعدوا لنصرته والقضاء على منافسيه بحد السيف، ولكنّ البلاد لم تخضع كلها للملك المنتخب "لذريق" فامتنعت المناطق الشمالية حيث هرب أبناء الملك السابق غيطشة وأقاربه على الخضوع له وناصبوه العداء، ودارت بينهما عدة معارك هَزم فيها الملك "لذريق" خصومه فدبّ اليأس في نفوسهم، وفرّ أبناء غيطشة من البلاد وصودرت أملاكهم، وكان لهم دور في الفتح الإسلامي كما سيأتي لاحقاً. واستمرت الثورات ضد "لذريق" حتى دخول المسلمين الأندلس ونهاية دولة القوط[2]. هكذا حال الأندلس سياسياَ حيث كان عرش القوط يرجف فوق بركان من السخط، والجيش كان في حال غير مرضية؛ حيث كان غالبيته من العبيد فكان سبباً في ضعفه، ولأنّ العبيد كانوا ساخطين على القوط؛ فقد كانوا ينتظرون الفرصة للتخلي عنهم وتركهم لمصيرهم[3].

ج- الحالة الدينية:-

ظلت الأندلس فترة من الزمن تحت الحكم الروماني، ودخلت في النصرانية تبعاً للرومان، وكان هذا الدخول على المذهب الكاثوليكي ، وفي المقابل فإن القوط لما استولوا على الأندلس كانوا على الديانة النصرانية، إلا أنهم كانوا على المذهب الأريوسي (الذي لا يعتقد بإلوهية المسيح، ولا

[1]- مؤنس، فجر الإسلام، صـ15.
[2]- عنان، دولة الإسلام في الأندلس ج1، صـ31-32.
[3]- مؤنس، فجر الإسلام، صـ27.

يجعل للسيدة مريم مكاناً في العقيدة، ولا يعترف بالقساوسة بحق الوساطة بين الله والناس). ومن الطبيعي أن يؤدي هذا الأمر إلى تحريض رجال الدّين للنّفور من هذا الحكم واشتد هذا النفور مع الأيام؛ بسبب ما كان القوط ينزلونه بالقساوسة من اضطهاد[1]، ولما رأى القوط أن ملكهم يتزعزع ويتزلزل، بسبب اختلاف جنسهم ومذهبهم من السكان الأصليين، تحولوا إلى الكاثوليكية فأصبحت هذه الديانة الرسمية للأندلس، وكان للكاثوليك مجلس يعقدونه في طليطلة عاصمة القوط؛ للنظر في أمور كنيستهم ورعاياها، فلما أعتنق ملوك القوط الكاثوليكية، أصبح هذا المجلس رسمياً يدعو الملك لعقده ويحضره كبار رجال الدولة، ومع مرور الزمن أصبح مجلسا سياسياً دينياً، يتناول جميع الأمور ويصدر القوانين والأحكام في شتى القضايا، ثم اتّسع سلطانه وتناول القضاء وأصبح بذلك محكمةً عليا، وانتهى الأمر بأن انضم إليه النبلاء فأصبح المجلس الأعلى للدولة. وقد كان الملوك أول الدّاعين إلى توحيد المجلِسَينِ، لأنهم أرادوا أن يزيدوا أحكامهم قوّة بالتّصديق عليها من هذه الهيئة، التي تضم كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية وكبار رجال الدولة[2]. و القوط من طبعهم كانوا أشد الناس اضطهاداً لمخالفيهم في الدين، فكانوا يضطهدون الكاثوليك، فلما اعتنقوا الكاثوليكية حولوا الاضطهاد إلى اليهود والوثنيين؛ لأن هناك عدداً من الوثنيين يسكنون شبه الجزيرة حتى وقت الفتح الإسلامي، فقرر مجلس طليطلة القضاء على الوثنية، وإجبار أهلها على النصرانية[3]، إضافة إلى المذاهب النّصرانية الأخرى لأنها كانت بدورها موضع سخطٍ من الكاثوليك، أما اليهود فكانوا يشكلون عنصراً مهماً من سكان الجزيرة، ولكنهم كانوا موضع البغض والتعصب والتحامل، يعانون أبشع ألوان الجور والاضطهاد، وكانت الكنيسة تعمل على تنصيرهم وتتوسل على تحقيق غايتها بالعنف والمطاردة، ففي عصر الملك القوطي "سيزبوت" فرض التّنصير على اليهود أو النفي أو المصادرة، ((فاعتنق بعض من اليهود النّصرانية كارهين، ثمّ توالت عليهم مع ذلك صنوف

---

[1]- مؤنس، فجر الإسلام ، صـ5- 1.
[2]- المصدر السابق ؛ صـ23.
[3]- ذانون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي، صـ83 .

الاضطهاد والمحن، واتهموا بالمؤامرة ضد البلاد مع التعامل الخارجي، فقرر مجلس طليطلة في حقهم أحكام المرتدين الخارجين عن الدولة ، وقرر أن تنزع أموالهم في سائر الولايات الأندلسية، وان تُحوّل إلى جانب العرش، وأن يشردوا ويُقضى عليهم بالرّق الأبديّ للنّصارى، وأن يَهبَهُم الملك عبيداً لمن يشاء، وأن لا يُسمح لهم باسترداد حرياتهم ما بقوا على اليهودية، وأن يحرر ارقاؤهم من النصارى ويمنحون بعض أملاكهم، وأن ينزع أبناءهم منذ السّابعة ويربون على النّصرانية، ولا يتجوز عبداً يهودياً إلا بجارية نصرانية، وألاّ تتجوز يهوديّة إلا بنصرانيّ)).

وهكذا عصفت يد البطش باليهود فكانوا ضحية ظلم لا يطاق، كما كانوا كباقي طوائف الشعب المضطهد، يطُوقون إلى الخلاص من هذا الحكم الجائر، ويرون في أولئك الفاتحين الذين يتركون لهم حرية الضمائر والشعائر ملائكة منقذين[1]، كما أن بقية الناس المظلومة كانت تكره القساوسة ورجال الكنيسة؛ لمساندتهم للحكم القوطي وعدم مراعاتهم لحالة الضعفاء[2]، مما جعلهم يتوقون إلى منقذ قادم سواءاً كان من الشرق أو من الغرب[3]. هذه هي حال الأندلس الدينية قبل الفتح الإسلامي؛ حالة سيئة جداً جعلت الشعوب المستضعفة تكره الديانة النّصرانية التي كانت مسيطرة على البلاد قبل الفتح الإسلامي.

وخلاصة القول:- هي أنّ الديانة العامة للأندلس هي الديّانة النصرانية على المذهب الكاثوليكي الذي كان له السيطرة الروحيّة في البلاد، الذي كان بدوره يتحكم في الدولة بأكملها. بالإضافة إلى المذهب النصراني الآخر وهو المذهب الأريوسي، وهذا المذهب كان أصحابه قلة وتحت اضطهاد دائم من الكاثوليك، خاصة بعد أن تخلى القوطيون عنه واعتنقوا الكاثوليكية.

وبجانب النصرانية كان هناك مجموعة من اليهود في موضع سخط، من الحكم القوطي الكاثوليكي، فكانت تنزل بهم أشدّ العقوبات؛ ومنها إجبارهم على اعتناق الديانة النصرانية، وحرمانهم

[1]- عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج1 صـ31-32.
[2]- مؤنس، فجر الإسلام، صـ36.
[3]- سالم، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، صـ57.

من تربية أبنائهم حتى لا ينشأوا يهودا. وكان هذا الاضطهاد النازل على اليهود هو الذي جعلهم يرحبون بالمسلمين ويتعاونون معهم عند الفتح الإسلامي.

بالإضافة إلى هاتين الديانتين كان هناك الوثنيون، الذين كانوا يعيشون على المرتفعات الشمالية الوعرة، كما كانوا يعيشون أيضا تحت الاضطهاد الكاثوليكي، الذين كانوا لا يحبون أن يروا أي ديانة أخرى غير النصرانية، وفي الديانة النصرانية كانوا لا يحبون أيضا أي مذهب آخر غير المذهب الكاثوليكي، ولهذا أصدر مجلس طليطلة عام "589م" قراراً يأمر فيه جميع حكام المقاطعات والأساقفة على محاربة الوثنية، وأن يتعاونوا مع القضاء في ذلك[1].

د- الحالة الاجتماعية:-

كان المجتمع الأندلسي قبل الفتح الإسلامي ينقسم إلى طبقات عدة متباينة الحال ومختلفة الطبائع منها:-

- طبقة النبلاء:- وكانت تتكون من طبقة الحكام القوطيين الذين يعدون أنفسهم أعلى الناس.
- طبقة رجال الدين:- التي كانت تضم سلالة القوط الفاتحين.

بالإضافة إلى طبقة النبلاء الرومان؛ فهؤلاء هم الطبقة التي تتمتع بكل الامتيازات الاجتماعية في الحكم والثراء. فقد كانت تملك الإقطاعات الكبرى وتسخّر في خدمتها كل المجتمع، أما رجال الكنيسة فقد أصبح لهم شأن كبير في الدولة، حيث كانت كل الأمور بأيديهم وكانت طبقة كبيرة غنية وقوية؛ كبيرة لتغلغلها في المجتمع، وغنية لأنها كانت تملك كثيراً من الأراضي الزراعية المعفاة من الضرائب، كما كان للكنائس والأديرة أوقافاً يستغلها رجال الدين، وقويّة لأنها كانت تسيطر روحياً على نفوس الناس، مما جعلها تتمتع بمكانة اجتماعية لم يتمتع بها غيرها إلا النبلاء. كما أن رجال الكنيسة كانوا لا يعنون إلا بما يمسّ مصالحهم الخاصة، فلم يعملوا شيئاً لتحسين حال

[1]- خليل إبراهيم السّمرّائي، د.عبد الواحد، دانون طه، د.ناطق صالح مصلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، (بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2000م)، صـ13.

الناس، ولم يحاول أحدٌ منهم أن يعترض على تصرفات الأغنياء من الاستبداد بالضعفاء والاستكثار من العبيد والأرقاء[1].

ثمّ تأتي طبقة من الأحرار تعيش في حالة وسط بين الرّق والحرية، وهم أهل المدن وصغار التّجار والزراع، وهؤلاء تقع عليهم كل الأعباء و المغارم والضرائب الفادحة، و مشاق العمل والسّخرة في ضياع الأشراف والأحبار، وتقع عليهم أعباء الحرب والدفاع عن الوطن[2].

وهؤلاء هم معظم الشعب، ثمّ تأتي طبقة العبيد؛ فقد كان عددهم كبير للغاية، إذ كان الأغنياء والنبلاء يقتنون منهم الآلاف ويسيئون معاملتهم، وكانوا يُعتَبرون جزءاً من ممتلكات الأغنياء والنبلاء، ولم يكن للعبيد أي حق يمكن المطالبة به، وقد يأس هؤلاء من حالهم وأخذوا يتطلعون إلى فرصة مواتية للخروج مما هم فيه[3]، وتضاف إلى هذه الطبقات طبقة اليهود؛ التي كانت موضع سخط لرجال الكنيسة والنبلاء فكثيراً ما كانوا يُضطهدون، وما ذلك إلا للتعصب الديني أو الطمع المالي[4]. فالحالة الاجتماعية كانت أسوء الحالات في الأندلس؛ إذ كانت مبنية على الطبقية والتفرقة العرقية أو الطائفية، فكانت طبقة الحكام والنبلاء تعيش على رقاب الضعفاء الذين كانوا يُسخّرون لخدمتهم، وكانت كل فئات المجتمع المستضعفة تتطلع إلى الخلاص مما كانت تعيشه.

هـ – الحالة الاقتصادية :.

كانت الحالة الاقتصادية للبلاد سيئة للغاية بسبب الحروب الدائمة التي كان يخوضها حكام القوط، فكانت الضرائب تفرض على أصحاب الأملاك غير طبقة النبلاء، وكانت الضرائب فادحة للغاية، وتفرض على الأراضي الزراعية والأموال التجارية، وعلى رؤوس الأشخاص[5]. وفي عهد لذريق _آخر ملوك القوط_ أصبحت الدولة في حاجة ماسة للمال، فاضطر لذريق إلى أن يفرض

---

[1]- سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، صـ63-64.
[2]- عنان، دولة الإسلام في الأندلس، صـ30-31.
[3]- سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، صـ65.
[4]- دانون،الفتح والاستقرار العربي والإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، صـ86-89.
[5]- المرجع السابق، صـ78-79.

ضرائب جديدة، وكان بعضها نوعا من العقاب المباشر لبعض أعدائه، والبعض الآخر فرضته الضرورة وحاجة الدولة. ولكنه لم يزده هذا الإجراء إلا ضعفاً لأن هذه الضرائب لم تكن الوسيلة لكسب محبة الناس فمالت قلوبهم على الملك لذريق ودولته[1].

ومع كثرة هذه الضرائب فإنها لم تكفِ لتغطية أطماع لذريق التوسوعية، فمدّ يده على كنوز الكنائس الشهيرة، مما أثار عليه غضب رجال الدين[2]، فأدى هذا إلى نفور كثير من النبلاء عن الملك لذريق.

فأدخل هذا النفور البلاد في حرب أهلية مدّمرة، ممّا زاد حال البلاد الاقتصادية سوءاً، ومن المعلوم عن كل تاريخ الحروب فإنها يصاحبها الدمار في كل شي، وتترك ورائها الأمراض والمجاعات و يصحبها دوماً عدم الاستقرار والفوضى، ويتبع ذلك عدم الإنتاج في كل مجالات الحياة البشرية[3].

ومما سبق يتضح سوء الحالة الاقتصادية في الأندلس قبل الفتح الإسلامي فقد وصلت إلى أسوء الأزمات الاقتصادية، وكان أهم أسباب هذه الأزمة هي: اضطهاد طبقات الشعب المنتجة، وذلك بتكليفها مالا تطيق من الضرائب، و مصادرة الأموال، و التكليف بالخدمة العسكرية، والدفاع عن البلد، إضافة إلى سوء الحالة السياسية والحروب الأهلية التي كانت تعيشها البلاد. وقد اجتاحت البلاد موجة من الجفاف والأمراض حتى قيل إنه قد هلك كثير من أهل الأندلس قبل الفتح الإسلامي[4].

هذه هي أحوال الأندلس قبل الفتح الإسلامي، كانت أحوال سيئة من جميع النواحي، وقد تزامنت هذه الفترة السيئة مع انتهاء المسلمين بفتح كامل بلاد المغرب الإسلامي صعوداً من مصر

---

[1]- علي حسبينة، مع المسلمين في الأندلس، ط2، ب.ت (جدة، دار النشر للنشر) صـ82.
[2]- بدر،دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، صـ12.
[3]- حسبينة، مع المسلمين في الأندلس وحضارتها، صـ75.
[4]- أنيس زكريا النصولي، الدولة الأموية في قرطبة، (بغداد المطبعة العصرية 1926)، صـ13.

فليبيا فأفريقيا، وصولا إلى غاية مياه المحيط الأطلسي بفتح كامل المغرب الأوسط والأقصى، لذلك لم يبقَ أمام المسلمين سوى الاتجاه شمالاً، وعبور مضيق جبل طارق نحو اسبانيا.

وباستكمال فتوحاتهم وتوسيع رقعة الإسلام؛ وقبل الفتح الإسلامي بحوالي سنة أو يزيد؛ قام "لذريق" وقتها بالاستيلاء على السلطة وعزل الملك "غيطشة" كما سبق ذكره.

إبان الفتح الإسلامي كان "لذريق" هو الحاكم الفعلي لبلاد الأندلس، وكان أنصار الملك السابق يتحايلون الفرصة الملائمة للوصول للحكم مرة أخرى، وكانوا يظنون أن تلك الفرصة الذهبية ربما تكون في دخول المسلمين الأندلس، ظنّاً منهم أنّ المسلمين جاءوا لسلب الغنائم والأموال، دون اكتراث بالبقاء في أرض أو بناء حضارة أو نشر عقيدة[1]. وهكذا كان الداخل مهيأ تماماً للفتح المبين، فهناك تفكك داخلي في طبقات المجتمع، وهناك قوى ظالمة وأخرى مظلومة، وهناك صراع على الحكم بين أنصار الملك الأول، مستعدون للتحالف مع أي طرف؛ ليقتص لهم منهم حتى لو بذلوا الغالي والرخيص من المال والذهب، وربما وجد هؤلاء في المسلمين ضالتهم المنشودة؛ ولكنهم نسوا أو تناسوا أنّ المسلمين آنذاك ما فتحوا مكانا أو موضعا في الأرض إلا ونشروا فيه عقيدتهم، وحضارتهم وفكرهم، وعمّروا الأرض من حولهم[2]. لذلك اهتم موسى بن نصير بعد فتح "إفريقيا" بنشر العقيدة الإسلامية حتى ينشأ جيلا قويّاً يملأ الإسلام قلبه، وبالتالي تتولد لديه الحماسة بنشر العقيدة إلى أماكن أخرى، لاسيما الأندلس فلم يكن غريبا أن غالبية جيش طارق بن زياد من البربر المسلمين، سكان" شمال إفريقيا" مِنْ مَنْ تحمسوا للعقيدة السّمحاء وسعوا لنشرها وإعلاء كلمتها؛ لا طمعا في مغنما أو مكسبا دنيوياً زائلاً[3].

---

[1]- الحميري، الروض المعطار، صـ793.

[2]- عبد الرحمن حجمي، التاريخ الأندلسي، ط2، (دمشق، بيروت: دار القلم، 1981م)، صـ43.

[3]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2، ط2، ت.ج .س كولان، وليفي بروفنسال، (بيروت : دار الثقافة،1980م)، صـ42.

ومما لاشك فيه أن العرب قد عرفوا أشياء كثيرة عن اسبانيا المجاورة لهم، وعن خصب أرضها وما فيها من مغريات الغنائم، وأهم من هذا ما لموقعها الإستراتيجي من شأن ومن خطر عليهم، وهذا وذاك يشبه ما شعر به عمرو بن العاص وهو في فلسطين من ضرورة فتح مصر وكذلك برقة وإقليم طرابلس من مغريات ذلك ودوافعه[1].

ولما فتح المسلمون المغرب وتم لهم ذلك رأى موسى بن نصير أن يواصل انتصارات المسلمين، وجهادهم فيما وراء المضيق، في عالم جديد غريب عن المسلمين كل الغرابة، وشجعهم على ذلك اللقاء الذي تم بينه وبين "يوليان" حاكم سبته، والتحالف بين الرجلين كان تحالفاً فريداً من نوعه، يوليان كان يتطلع إلى القضاء على عرش الملك لذريق المغتصب لملك غيطشة، مستعينا بقوة المسلمين المتقدمة والضارية، وموسى بن نصير أراد أن يستغل تحالف " يوليان" معه في تحقيق حلم الإسلام الكبير؛ وهو الانتشار في شتى البلاد والبقاع، والزحف إلى الأمام دون أن يعوقه عائق، ويحول دونه حائل[2]. وبعد أن أتمّ موسى بن نصير فتح طنجة، تطلع إلى فتح سبته ولكنه لم يستطع لمناعتها، وبينما هو يستعد لإعادة الكرة جاءته رسالة من يوليان يعرض عليه مشاركته في فتح اسبانيا ويرغّبه في الغنائم التي قد يحصل عليها من وراء هذا الفتح. ومن المرجح أن يوليان لم يقصد أن يساعد موسى على فتح الأندلس، وإدخالها في حوزة المسلمين، ولكنه كان يقصد أن يساعد موسى للتخلص من لذريق، والانسحاب بعد ذلك من اسبانيا وكان يعتقد أن العرب يشنون هذه الغارات لأجل الحصول على الغنائم، ثم ينسحبون من مواقعهم. أما موسى حينما وصلته رسالة يوليان وجدها الفرصة السانحة لتوسيع ملك الإسلام، فيما وراء البحر ومهما يكن من أمر؛ فقد قابل موسى يوليان وتختلف الروايات حول مكان المقابلة؛ فالبعض يراها أنها في عرض البحر، ويرى آخرون أنها كانت في سبته، ويرى البعض الآخر أنها تمت خارج سبته في القيروان

[1]- شكري مصطفى،الأندلس في التاريخ، (سوريا: منشورات وزارة الثقافة 1990)، صـ16.
[2]- عصام الدين الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، (القاهرة : مكتبة نهضة الشرق)، صـ36.

حيث وصل وقدم يوليان، ولا نعرف بالضبط ما تمّ في هذه المقابلة، ولكن أغلب الظن أن يوليان حرّض موسى على غزو الأندلس والتخلص من لذريق، والانسحاب فورا وإنهاء مهمته عقب ذلك. ولكن موسى كان يضمر استغلال هذه الفرصة المتاحة له في مشروع كبير؛ وهو التوسع فيما وراء البحر، حيث أنّ يوليان أطلع موسى على ضعف اسبانيا، ومعارضة الأهالي للحكم القوطي، ودله على نقاط الضعف في هذا البلاد الفسيح[1]. وقد عرض يوليان تسليم سبته وباقي معاقله، وتقديم سفنه لنقل المسلمين في البحر، ومعاونته لجنده،وإرشاده، ووفقاً للسياسة العربية التقليدية؛ وهي استشارة الخليفة في بداية عملية الفتح، كانت بداية الغارات الخاطفة التي تسمى (الغارات الثغرية) حيث استوثق العرب من النصر، لذلك أرسل موسى بن النصير إلى الخليفة الأموي "الوليد ابن عبد الملك" يستشيره في بداية الفتح، فوافقه على مطلبه شريطة أن يختبر أرض اسبانيا بالسرايا، أي الحملات الصغيرة (الثغرية)، ففي شهر رمضان من عام "91هـ/710م" عبرت قوة قوامها خمسمائة محارب من بينهم مائة فارس المضيق من سبته إلى جزيرة إيبيريا، كحملة استكشافية بقيادة "طريف بن مالك"، ونزل رجال الحملة في جنوب اسبانيا بجوار مدينة صغيرة تعرف في وقتنا الحاضر (جزيرة طريف) نسبة إلى هذا القائد، فشن الغارة وغنم مغانم كثيرة ورجع سالماً.

شجع نجاح هذه الحملة المسلمين على القيام بمهمة فتح اسبانيا، وإرسال حملة أكبر من الحملة الأولى بقيادة طارق بن زياد عبرت المضيق في رجب سنة "92هـ/711م"[2].

---

[1]- الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، صـ37.

[2]- منى حسن محمود، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1987م)، صـ8.

الفصل الأول

(العوامل التي ساعدت على الازدهار الحضاري في الأندلس)

1. الموقع الجغرافي.

أ . المناخ.

ب . التضاريس.

2. استتباب الأمن وتوحيد الأندلس.

أ . عصر الإمارة.

ب . عصر الخلافة.

3. التطور الزراعي و الصّناعي والعمراني في الأندلس.

العوامـل الطبيعيـــة

أولاً: الموقع الجغرافي:

أطلق المسلمون اسم الأندلس على البلاد التي فتحوها من شبه جزيرة إيبيريا، أو بالأحرى من بلاد اسبانيا، التي تقع "مقابل بر العدوة من بلاد المغرب وبينهما بحر الزقاق"[1]. وهي بذلك تحتل موقعا استراتيجيا مهماً، وقد وردت في كتب المؤرخين والجغرافيين أوصاف عديدة لبلاد الأندلس بخصوص موقعها، يقول ابن عذارى "أما صفة جزيرة الأندلس فهي جزيرة مركّنة ذات ثلاث أركان، فالأندلس كلها محدقة بالبحر المحيط الغربي والبحر المتوسط القبلي ويصعد منه قليل إلى ناحية الشرق"[2]. وسميت الأندلس جزيرة لأنها محاطة بالمياه من معظم جهاتها وليس من كلّ جهاتها، إذ تفصلها عن بلاد الغال سلسلة جبال البرت أو البرتات وقد أشار إلى هذه النقطة ياقوت الحموي حيث قال:- (فإن بعض من لا علم له يعتقد أن الأندلس يحيط بها الماء من جميع أقطارها لكونها تسمى جزيرة، وليس الأمر كذلك وإنما سميت جزيرة بالغلبة"[3].يعني غلبة الماء عن اليابس فهي محاطة بالبحر من معظم الجهات، فشرقاً يحدها البحر الرومي أو الشامي (المتوسط)، ومن جهة الغرب والجنوب يحدّها المحيط الأطلسي، وجزء من الناحية الشمالية يحدها خليج الإنقليشيين (بسكاية)، والمتبقي من هذه الجهة تشغله سلسلة جبال ألبرت وهي بهذا تشكل " وحدة " جغرافية منفصلة عن بقية أجزاء المغرب، بما حاطها من مياه البحر المتوسط والمحيط الأطلسي[4]، إلا أنها تظل على مرمى حجر منه فلا يفصلها عنه سوى مضيق جبل طارق، الذي يفصل الأندلس عن المغرب، وقد عبر عن ذلك ياقوت الحموي "وعرض فم الخليج الخارج عن البحر المحيط قد اثني

---

[1]- القلقشندى، صبح الأعشى في كتابه الإنشاء، ج5،(مطبعة الأميرية، القاهرة 1915م)، صـ211.
[2]-المراكشي، البيان المعرب، ج2، صـ1.
[3]- ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج1،د.ط (بيروت دار صادر: 1977)، صـ263.
[4]- عز الدين عمرو موسى، النشاط الاقتصادي للحزب الإسلامي ، خلال القرن السادس الهجري، ط2، (بيروت ،دار الغرب الإسلامي، 2003)،صـ37.

عشر ميلاً، بحيث يرى أهل الجانبين بعضهم البعض و يتبينون زروعهم و بيادرهم"[1]. وجاء في نفح الطيب للمقري: " قال ابن سعيد ومخرج بحر الروم المتصاعد إلى الشام، هو بساحل الأندلس الغربي بمكان يقال له الخضراء مابين طنجة من أرض المغرب وبين الأندلس، ويكون مقدار عرضه هناك كما زعموا ثمانية عشر ميلاً، وهذا عرض جزيرة طريف إلى قصر مصمودة بالقرب من سبته، ويعرف هذا بالزقاق"[2]. وعليه فإن المسافة التي تفصل المغرب عن الأندلس؛ هي مسافة ضيقة لا وزن لها من ناحية قيام أي نشاط بينهما.

ويمكن القول إن أهمية الموقع الذي احتله الأندلس، إضافة إلى اتساع رقعتها؛ جعل منها بلداً متنوعا في مناخه وتضاريسه وغطائه النباتي غنياً بالخيرات، يقول ليفي بروفنسال :- "إذ ما من بلاد تؤلف كتلة كهذه في وضوح حدودها الطبيعية، وما من بلاد تفوق على هذه البلاد فيما تبديه من تناقضات في شكلها الطبيعي وفي مناخها" [3]. كذلك سمح لها موقعها الجغرافي الاستراتيجي أن تلعب دوراً اقتصادياً وتجارياً كبيراً ببلاد الغرب الإسلامي والبحر المتوسط، فكانت الأندلس حلقة الوصل بين أوروبا والمغرب و إفريقيا وبلاد المشرق الإسلامي، وكذلك الواسطة بين الضفة الغربية للبحر المتوسط والبحر المحيط.

ويشير ابن غالب إلى أهمية الأندلس بالنسبة للمغرب الإسلامي "بأنها أعظم قطعة شأناً وأرفعها قدراً، وأشهرها ذكراً، وأكثرها مدائن، وأنفعها سواحل وأرفقها بأهلها عند الشدائد"[4].

---

[1] الحموي، معجم البلدان، ج1، صـ262.

[2] أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1، ت. إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، 1968) صـ145-146.

[3] ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، د.ط، د.ت، (بيروت: منشورات مكتبة دار الحياة)، صـ14.

[4] ابن غالب محمد أيوب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كنوز الأندلس ومدنها، لطفي عبد البديع، ج2 (نشر مجلة معهد المخطوطات العربية، 1955م)، صـ307.

ثانيا: المناخ:.

تتميز الأندلس باعتدال مناخها على العموم، تتعاقب عليها أربعة فصول على مدار السنة؛ الشتاء والربيع، والصيف والخريف. حيث تتفق معظم المصادر على ميزة الاعتدال بالنسبة لمناخ الأندلس، هذا برغم التغيرات التي تطرأ على درجة الحرارة في بعض المناطق المرتفعة، والمتوسطة الارتفاع فيكون الشتاء فيها شديد البرد، كما يشتد الحر بمناطق أخرى صيفاً. قال الرازي :- (بلد الأندلس هو آخر الإقليم الرّابع إلى المغرب، وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة، معتدل الهواء والجو والنسيم، ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال) [1]. كما قال عنها ابن خرداذبة في كتاب المسالك والممالك "الأندلس شامية، معتدلة الهواء والجو والنسيم، فصولها الأربعة على صدر أعدل الاعتدال"[2]. كما تشير المصادر إلى وجود أماكن بالأندلس يسودها المناخ البارد، وقد قال ابن خطيب في ذلك: "وقد اختلفت طباع هذه الأرض لسعة خطتها، وأخذها من الأقاليم بخطوط، فمن أماكنها المعتدلة وغير المعتدلة مائلاً إلى البرد"[3]. وما تلاحظه من كلام ابن خرداذبة: "وفواكهها ملاحقة لبواكر السواحل ومتأخرة الجبال والأماكن الباردة"[4]. ويضيف الدمشقي عن غرناطة: "بأنها تشبه دمشق من الشام، وكانت اشبيليا تسمّى حمص وهي من أحسن مدن الدنيا"[5]. وقد قسم المراكشي الأندلس إلى قسمين:- فمنها ما يقع في الإقليم الخامس من جهة الشمال ويسوده المناخ البارد يقول:- "إن معظم الأندلس بالإقليم الخامس أميل إلى الشمال، فلذلك اشتدّ بردها وطال مدة الشتاء فيها"[6]. بينما يقع الإقليم الرابع أي(بالجهة الجنوبية) حيث يسوده المناخ

---

[1]- المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1، صـ129-130.

[2]- مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1، تحقيق وترجمة لويس مولينا، (مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1983م).

[3]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ت.إيفي بروفنسال، ط2، (بيروت لبنان، دار المكشوف، 1956م)، صـ4.

[4]- مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1 –صـ9.

[5]- الغرناطي أبو حامد الأندلسي، تحفة الألباب وتحفة الإعجاب، ترجمة إسماعيل العربي، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م.)، صـ62_63.

[6]- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ت.محمد سعيد العربان، د.ط ، د.ت (الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية)، صـ30.

المعتدل، "وطائفة من الأندلس في الإقليم الرابع، كاشبيليا و مالقة، وقرطبة، وغرناطة، والمرية، ومرسيه، فهذه البلاد في الإقليم الرابع أعدل هواءاً، وأطيب أرضاً، وأعذب مياه من البلاد التي فيها الإقليم الخامس"[1]. بالإضافة إلى المناخ المعتدل والبارد، نجد أيضاً المناخ الجاف الذي يسود بعض المناطق من القسم الجنوبي، فنجدها تميل من الاعتدال إلى الحر قليلاً؛ فنظراً لانخفاض الجبال الأندلسية واتجاهها من الشرق إلى الغرب تقريبا "جعل الرياح الغربية تضرب جميع جهاتها، هذا بالإضافة إلى أن الرياح القبلية الشرقية تقلل نسبة جفافها بمرورها على مياه البحر المتوسط، وقد تصيب بعض شرق الأندلس بمطر صيفي"[2]. وهو ما يفسر تلك الاضطرابات الجوية التي قد تحدث من حين إلى لآخر متمثلة في أمطار فجائية، قد تهطل عليها في أي وقت من السنة. وقد اتفقت بعض المصادر التي تتحدث عن الأندلس؛ أن مناخها يتسم في أغلب الأوقات بالاعتدال، فحتى الجفاف أو الحر الذي تعرفه بعض مناطقها لا يصل إلى حد الضرر، حيث ذكر الرازي :- "إن الأندلس تقع في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة، التي هي ربع معمور الدنيا، فهي متوسطة البلدان، كريمة البقعة، معتدلة الهواء أكثر الأزمان، لا تزيد فيضها زيادة منكرة تضر بالأبدان، وكذا سائر فصولها في أعم سنيها تأتي على قدر من لاعتدال، وتوسط الحال"[3]. وهكذا فإن مناخ الأندلس كان أحد العوامل المساعدة على حركة التجارة والنمو الاقتصادي.

ثالثاً: التضاريس:-

الأندلس بلد ذو طابع جزري لكون المياه تحيطه من معظم الجهات عدا الجهة الشرقية الشمالية، المتمثلة في جبال البرتات puertos التي تفصل الأندلس عن بلاد فرنسا، وما يليها،

---

[1]- المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ، صـ30.
[2]- موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس الهجري، ط1، (بيروت: القاهرة: دار الشروق 1983م)، صـ54.
[3]- المقري، نفح الطيب، ج1، صـ70.

يقول أبو الفداء:- "وجبل البرت هو حد الأندلس عند الركن الشرقي، ويفصل بين الأندلس وبين الأرض الكبيرة"[1].

وعليه قد حظيت بلاد الأندلس بامتلاك سواحل طويلة من ناحية الشرق وناحية الغرب، أما جنوباً تشرف على مضيق هام جداً مما يجعل موقعها موقع استراتيجيا وهو مضيق جبل طارق، الذي يربط بين مياه البحر المظلم(المحيط الأطلسي)، ومياه البحر الشامي (المتوسط) وهذا الموقع بالذات جعل الأندلس تنفتح على البلاد الشرقية، وتسنى لها التحكم في خطوط التجارة بحوض البحر الشامي، كما سمحت سواحلها الطويلة بإقامة الموانئ التي كان لها أثر كبير في قيام نشاط تجاري كثيف مع البلدان المجاورة. أما التوغل داخل البلاد الأندلسية يكشف لنا بأنها: "منٍ أشد بلاد أوروبا تخديداً"[2]. فحوالي النصف من مساحتها الإجمالية تشغله هضبة كبرى(مستيا)، أو (المزيتا)، وهي هضبة مرتفعة نسبيّاً

تطوقها مجموعة من السلاسل الجبلية، وبالإضافة إلى هذه الهضبة تتشكل التضاريس من مجموعة كبيرة من المرتفعات، التي تتباين من حيث الارتفاع وقد ذكر المقري: "أن بالأندلس سبعة وثمانون جبلاً "[3]، واشهر هذه المرتفعات حسب ما ورد في المصادر جبل الشارة أو الشارات[4] الذي يتوسط الأندلس ويمتد من الشرق إلى الغرب،بحيث يقسمها إلى نصفين: نصف جنوبي، ونصف شمالي[5]، وجبل قرطبة المعروف عند المؤرخين بجبل العروس وجبل شلير أو يسمي جبل الثلج، ويعرف هذا الجبل حالياَ باسم sierra nevada، وهو يمثل أعلى قمة جبلية في الأندلس يصل ارتفاع أعلى قمة به إلى ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانين مترا، وجبل شقورة seqora الذي لا يقل شهرة عن سابقيه، يقع بمدينة شقورة، إحدى ضواحي مدينة جيان (jaen) إلى غير ذلك من

---

[1]- عماد الدين إسماعيل أبو الفداء، تقويم البلدان، ب.ط، ب.ت، (بيروت: دار صادر)، صـ169.
[2]- كولان، الأندلس، صـ62.
[3]- المقري، نفح الطيب، ج1، صـ22.
[4]- أبو عبد الله محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج4، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م)، صـ552
[5]- القلقشندى، صبح الأعشى، ج5، صـ213.

الجبال، وتتخلل هذه الجبال والمرتفعات عدة سهول، مثل:(السهل الجنوبي الكبير، والسهل الغربي الكبير، والسهل الشرقي الذي ينبسط حتى ساحل البحر المتوسط)[1]. كما توجد ناحية الشمال بعض السهول الضيقة مقارنة بسهول المنطقة الجنوبية. فما يمكن قوله عن تضاريس البلاد الأندلسية أنها كتلة معقدة، ذات تكوين جبلي ملتوي في معظم المناطق، فالمرتفعات أكثر من المنخفضات مما يكشف لنا أنّ جزءاً كبيراً من المساحة، هو عبارة عن أراضي ومرتفعات قاحلة بسبب قلة التساقط، خاصة منها الواقعة في الأقاليم الجافة مما يجعل عملية استغلالها في الزراعة عملية صعبة، هذا إذا ما قوبل شح الأمطار بضعف الموارد المائية من القسم الأكبر من البلاد، فمعظم أنهار الأندلس تعتبر أنهار غير دائمة.

إن طبيعة التضاريس الأندلسية تشبه وإلى حد بعيد الطبيعة التضاريسية لبلاد المغرب، كما لو كانت امتداداً لها. لذلك فإن الأنهار التي تشق أرض الأندلس لها نفس الخصائص، التي لوديان بلاد المغرب فهي في معظمها تعتبر أنهار غير دائمة تمتلئ أيام الشتاء وتجف في الصيف، ومن هذه الأنهار ما يتجه غرباً ويصب في المحيط الأطلسي؛ ومنها ما يتجه ناحية الشرق ويصب في البحر المتوسط، كما أن الملاحة تصلح في أنهار المنطقة الغربية أكثر من أنهار المنطقة الشرقية، الأمر الذي من شأنه توفير شبكة هامة من المواصلات التي تخدم التجارة بشكل مباشر سواء الداخلية أو الخارجية. وحسب ما ذكرته المصادر فإن عدد أنهار الأندلس بلغ الأربعين نهراً"[2]. وهي أنهار شهيرة نذكر منها:

[1] حسين يوسف دوي دار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، 138 هـ -422هـ.
[2] مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج1-2، صـ11

1. نهر قرطبة "Gvada logivir": وهو منبعث من جبال مدينة شقورة ويصب غرباً في المحيط الأطلسي، بعد مروره بقرطبة ومدن أخرى مثل: بياسة واشبيلية ويسميه ابن الدّلّائي بالنهر الأعظم[1]. ويعتبر النهر الوحيد الذي يصلح مجراه الأدنى للملاحة

2. نهر آنه(Gvadaiana): يقول القزويني أن طوله ((ثلاثمائة وعشرون ميلاً))[2].

3. نهر تاجه (Tajo):[3] وهو نهر عظيم يمر بطليطلة وطلبيرية، و شنترين وغيرها، ويصب في البحر الغربي المحيط عند مدينة الأشيونه، وطوله ستمائة وعشرون ميلاً، ويعد هذا النهر من أبرز الحدود الطبيعية في الأندلس، فقد شكل حدّاً سياسياً بين ولاياتها.

4. نهر إبرة(Ebra): ينبعث هذا النهر من جليقية فيمر على سرقسطة ثم إلى طرطوشة ويصب في البحر، وعدد أمياله مائة وأربعة أميال، وذكر الإدريسي بأنه نهر كبير تقع عليه مدينة سرقسطة وقال " يأتي بعضه من بلاد الروم وبعضه من جبال قلعة أيوب وبعضه من نواحي قلهرة، فتجتمع مواد هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيلة، ثمّ تنصب إلى مدينة سرقسطة"[4].

5. نهر دويرة (duero) يخرج هذا النهر من جبال فريرة من جليقيّة يمر على جزيرة شقر؛ ويصب على البحر الغربي، عدد أمياله خمسمائة وثمانون ميلاً.

وإضافة إلى هذه الأنهار الكبيرة المشهورة توجد أنهار أخرى ذكرتها المصادر مثل نهر العسل[5]، الذي يشق الجزيرة الخضراء ووادي برباط[6]، ونهر باجة[7]، ونهر شطوبر[8]، وهو نهر كبير تقع على ضفته مدينة القصر، ونهر شقر والنهر الأبيض[9]، الذي هو نهر مدينتي أريولة

---

[1]- أحمد عمر الدلائي، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتلوين الآثار، والبستاني في غريب البلدان، والمسالك في جميع الممالك، ب.ط، ب.ت، ت. عبد العزيز الأهواني (مدريد: منشورات معهد الدراسات الإسلامية) صـ97.
[2]- زكريا بن محمد القزويني، كتاب أثار البلدان وأخبار العباد، ب.ط، (مكتبة برلين، 1848م) صـ34.
[3]- مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، صـ11.
[4]- الإدريسي، نزهة المشتاق، صـ554.
[5]- المصدر السابق، صـ539.
[6]- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، صـ368.
[7]- القزويني، كتاب آثار البلاد، صـ364.
[8]- الإدريسي، نزهة المشتاق، صـ364.
[9]- المصدر السابق، صـ557،556.

ومرسية، ونهر شنيل[1]، الذي يشق غرناطة، وإلى جانب الأنهار والوديان، يوجد بالأندلس الكثير من المصادر المائية الأخرى من العيون و الآبار.

1. استتباب الأمن وتوحيد الأندلس:

أولاً عهد الإمارة :. (138 – 316 هـ / 755 – 928 م)

أ. القضاء على الثورات وحركات التمرد وتوحيد الأندلس:-

شهدت الأندلس في عهد الإمارة تحولاً نوعياً في أحوالها وحياتها، إذ تحولت من ولاية تابعة لمركز الخلافة أو إلى أفريقيا؛ إلى إمارة مستقلة إذ تشير المصادر التاريخية إلى (أن السلطة في الأندلس في بداية الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها من حكام أفريقيا، واختلاف الولاة داعٍ إلى الاضطراب وعدم الاستقرار، ولما صارت الأندلس لبني أمية وتوارثوا ممالكها، وانقاد إليهم الناس وأطاعهم كل عصيّ، عظمت الدولة بالأندلس وكبرت الهمم، وترتبت الأحوال)[2]. وقد أصبحت قرطبة في عهد عبد الرحمن الداخل عاصمة مزدهرة، شهد لها الأعداء قبل الأصدقاء، لاسيما وأن هذه الشهادة قد جاءت من عاصمة الخلافة العباسية في بغداد، ومن الخليفة أبو جعفر المنصوري إذ يروى عنه قوله "الحمد لله الذي جعل بيني وبينه البحر، وهو الذي لقب عبد الرحمن الداخل بصقر قريش، إذ قال أبو جعفر المنصور يوما لبعض جلسائه: أخبروني عن صقر قريش من الملوك؟ قالوا ذلك أمير المؤمنين الذي راضي الملوك وأباد الأعداء قال ما قلتم شيئا قالوا فمن!

---

[1]- أبو عبدا لله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافيا، ب.ط، ب.ت، ت.محمد حاج صادق، (بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية) صـ96.
[2]- المقري، نفح الطيب، ج1، صـ319.

قال: هو عبد الرحمن بن معاوية، الذي عبر البحر وقطع القفر، ودخل بلداً أعجمياً منفرداً بنفسه، فمصّر الأمصار، وجنّد الأجناد ودون الدواوين، وأكمل ملكاً عظيماً بحسن تدبيره، وشدّة شكيمته"[1].

يقول المقري نقلاً عن ابن حيان:- كان عبد الرحمن راجح الحلم ، فاسح العلم، ثابت الفهم، كثير الحزم، نافذ العزم، بريء من العجز، سريع النهضة متصل الحركة، لا يخلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعه، ولا يكل الأمر إلى غيره، ثم لا ينفرد في إبرامها برأيه، شجاعا مقداماً، بعيد الفوز، شديد الحدّة، مفوّهاً، شاعراً، محسناً، سمحاً، سخياً طلق اللّسان. ظل عبد الرحمن الداخل يدعو للمنصور على منابر الأندلس، ولكنه عندما وطد أقدامه؛ قطع دعوته للمنصور، واكتفى بلقب الأمير تأدباً مع الخلافة، وظل هذا اللقب مختصراً على خلفائه، واستبدل هذا اللقب "عبد الرحمن الناصر" الذي تلقب بأمير المؤمنين وذلك حين ضعفت الخلافة العباسية[2]. وقد واجهت عبد الرحمن الداخل مشاكل كثيرة بعد إمارته على الأندلس، لكنه كان الأقوى فقد استقرت أقدامه على قاعدة متينة وتهيأت له عوامل النصر، وتمكن من اجتياز الصعاب بكل جدارة، ويعود سبب معظم المشاكل الداخلية؛ إلى طبيعة المجتمع في الأندلس لأنه يتكون من تجمعات كثيرة قبلية ودينية، فهناك الأمويين ومواليهم في الأندلس، وهناك القبائل العربية اليمنية، والقبائل العربية القيسية والمضريّة، وهناك عرب المغرب، فضلا على المجموعات السكانية المحلية من المواطنين الأصليين، من مولّدين ومستعربين ويهود وغيرهم[3].

وكان هناك الكثير من القادة من عرب المغرب والمشرق، الذين تطلعوا إلى السلطة، وقد أدت هذه الظروف إلى الفتن والاضطرابات في البلاد، فضلا عن وصول الأمويين وأنصارهم من المشرق إلى الأندلس، وترحيب الأمير عبد الرحمن بهؤلاء القادمين فأكرمهم جميعاً، وأحسن

[1]- أبوبكر ابن القوطة، تاريخ افتتاح الأندلس، مجلد2، ط2، ت.إبراهيم الأبياري، (القاهرة دار الكتاب المصري،1989م)، صـ118.
[2]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، صـ496.
[3]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، صـ49.

معاملتهم، وولى بعضهم على الولايات وجعل الآخر في مقدمة حراسه وقواده، واعتمد عليهم في تدبير أمور الدولة [1].

حاول عبد الرحمن الداخل أن يستخدم سياسة السلم، مع التجمعات، والتكتلات التي يتكون منها المجتمع العربي في الأندلس، تجنباً للمواجهات والحروب والفتن، غير أنها لم تؤدِ إلى النتائج المطلوبة، بسبب المصالح المتضاربة بين الطامعين في السلطة، لذلك اضطر عبد الرحمن الداخل إلى استخدام القوة والحزم، لمواجهة جميع هذه المشاكل وأهمهما:-

1. حركة يوسف الفهري سنة "142هـ" :

لقد استقر يوسف الفهري والصميل بن حاتم في قرطبة، بعد أن تم الصلح بينهما وبين الأمير عبد الرحمن الداخل وكانا يحضران مجلسه ويشاورهما في أمور كثيرة[2].لكن هذا الوفاق لم يدم طويلا؛ إذ أن يوسف الفهري لم يطمئن إلى أمان عبد الرحمن الداخل وظلت المخاوف تساوره، فلم يزل يتحايل الفرصة حتى فرّ من قرطبة سنة "141هـ"، وحاول أن يستميل الصميل فلم يوفّق، ومضى إلى أهل لقنت، وماردة، وطليطلة، وعمل على إغرائهم بالانضمام إليه، فثاروا ضد عبدالرحمن الداخل في تلك المناطق، واستبعد عبدالرحمن أن يكون يوسف الفهري قد قام بذلك وحده، واتهم الصميل بالتدبير معه، وألقاه في السجن ومعه ابنيّ يوسف وكانا عنده رهينتين، وعبثا حاول الصميل تبرئة نفسه[3].

استطاع يوسف الفهري أن يجمع جيشاً تعداده عشرين ألف، واتجه نحو اشبيليا فحاصرها، وكان واليها "عبد الملك بن عمر المرواني" والذي طلب منه ابنه عبد الله والي مرور التقدم لفك حصار يوسف عنه، وفي هذه الأثناء زحف عبدالرحمن بجيشه من قرطبة حتى نزل بمكان

---

[1]- عبدا لرحمن محمد ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج4، ب.ت، مراجعة تسهيل زاكار، (بيروت: دار الفكر)، صـ126.

[2]- مؤلف مجهول، مجموعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، (القاهرة: دار الكتاب المصرية،1981م)، صـ95.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج4، صـ126.

اسمه(برج أسامة)، ولم يستطع يوسف الفهري مواجهتهم فانهزم، وتفرق من معه وسار يوسف إلى طليطلة ليحتمي بها عند ابن عروة واليها، فأدركه عبد الله ابن عمر الأنصاري قبل طليطلة بأربعة أميال فقتله، وذلك سنة(142هـ –759م)، ثم عمد الأمير عبد الرحمن الداخل إلى التخلص من الصميل بن حاتم، الذي كان سجينا، بعد أن تخلص من عبد الرحمن بن يوسف الفهري، وأبقى على أخيه محمد بن يوسف الفهري لصغر سنه[1].وبذلك فإن عبد الرحمن الداخل قد تخلص من خصومه، وأصبح له الأم في الأندلس دون منازع، وانتهى عصر الولاة، واختفى من الميدان آخر رجلين كانا يمثلان هذا العصر في تاريخ الأندلس، ليبدأ عصر الدولة الأموية[2].

2. حركة هشام بن عروة الفهري، سنة "144هـ":

قاد هشام بن عروة حركة معادية ضد عبد الرحمن الداخل، حيث أجتمع له عدداً من زعماء العرب، ومن بينهم:(جبوة بن الوليد التجبي، وهشام ابن حمزة، وعبيد العمري)، فجهز عبدالرحمن الداخل جيشا كبيراً، وخرج من قرطبة وبلغ طليطلة فحاصرها، ودارت بينها مواصلات للصلح فأجابه عبد الرحمن إلى مطلبه؛ على أن يكون ابنه أفلح رهينة إلا أنّ هشام بن عروة ما لبث أن عاد إلى العصيان سنة "145هـ" وتحصن داخل أسوار طليطلة المنيعة وفي عام "147هـ"، جهز عبد الرحمن الداخل جيشا للقضاء على هؤلاء المتمردين وأسند قيادتهم إلى مولاه بدر، وتمام بن علقمة، وقد حاصر طليطلة لمدة طويلة، إلى أن أتعب الحصار أهل المدينة، فأرسلوا بدراً للصلح والأمان وتم الإتفاق بين الطرفين، على أن يسلّم أهل المدينة زعماء الفتنة،الذين اجتمعوا معه في حركته، وان يرفع بدر وتمام الحصار على المدينة والأمان لأهلها[3]. وتم الصلح وأدخل الزعماء الأسرى الثلاثة وهم: (هشام بن عروة الفهري، و جبوة بن الوليد التجبي، وعبيد العمري) إلى قرطبة،

---

[1]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، صـ49.
[2]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، صـ99.
[3]- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، صـ104.

وطافوا بهم أنحاء المدينة وبذلك انتهت هذه الحركة، وخضعت طليطلة إلى الأمير عبد الرحمن الداخل[1].

3. حركة سعيد اليحصبي:

بدأت حركة الزعيم اليماني، سعيد اليحصبي، ضد عبد الرحمن الداخل سنة "149هـ"، لما أصابه اليمانية من شدّته وقسوته في مدينة لبلة الواقعة في الغرب من اشبيليا، ودعا قومه إلى نصرته، فاجتمع حوله اليمانية وسار إلى اشبيليا واستولى عليها[2]، فلما بلغ عبد الرحمن الداخل ذلك؛ جهز جيشه لمواجهته، وما كان من سعيد اليحصبي، إلا أنه التجأ إلى أحد الحصون القريبة فحاصره عبد الرحمن الداخل، وأمّا سعيد اليحصبي؛ فكان على اتفاق في هذه الحركة مع غيات بن علقمة اللّخمي، الذي كان بمدينة شذّونة، وقد قتل سعيد اليحصبي أثناء المواجهة مع عبد الرحمن الداخل، و منح أنصاره الأمان وخرجوا من القلعة، وخربت أسوارها[3]. ثم سار عبد الرحمن الداخل إلى شذّونة، لمحاربة غيات اللخمي وحاصره حتى طلب الأمان، وتم له ذلك ومن معه، و عاد عبد الرحمن الداخل إلى قرطبة، وبذلك تخلص من حركة تمرد هددت دولته الجديدة[4].

4 . حركة حي بن يحيى اليحصبي سنة "149هـ":

كان من زعماء اليمانية الأوائل، الذين أيدوا عبد الرحمن الداخل عندما دخل الأندلس؛ وهو من المشاركين معه في معركة المسارة ضد يوسف الفهري، سنة "138هـ" لكنه ما لبث إلى أن غير رأيه؛ بسبب موقف عبد الرحمن الداخل من اليمانية الذين أرادوا نهب أموال يوسف الفهري وأصحابه

---

[1]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، صـ53.
[2]- عنان، دولة الإسلام في الأندلس، صـ163.
[3]-ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، صـ53.
[4]- سالم، تاريخ المسلمين، صـ200.

بنقمتهم عليه، وعلى قومه المضريّة، وكان أبو الصباح حي بن يحيى اليحصبي من أول الدّاعين إلى التخلص من عبد الرحمن الداخل،بعد أن تمّ لليمانية التخلص من يوسف الفهري، وأن عبدالرحمن الداخل قدّ عين حي بن يحيى، واليا على اشبيليا مع علمه بموقفه المعادي له، وترك معالجة الخلاف في المستقبل[1]. ولما كثرت حركات العصيان والتمرد ضد عبد الرحمن الداخل، وكان اليمانيون في مقدمة هذه الحركات ومثيريها،وأدى ذلك إلي ضرورة التخلص من اليمانية وعزل أبو الصباح حي بن يحيى اليحصبي عن ولاية اشبيليا،إضعافاً لليمانية لكنه لم يتمثل لذلك وأعلن العصيان، سنة "149هـ"، والتف حوله الكثيرون وتم إقناعه بالقدوم على عبد الرحمن الداخل وتم التخلص منه[2].

5. حركة حيوة بن ملامس الحضرمي، سنة "156هـ".

هو من اليمانيين الأوائل الذين أيدوا عبد الرحمن الداخل، لكنه غير رأيه بعد ذلك، شأنه شأن زعماء اليمانية الذين اتهموا عبدالرحمن الداخل بالانحياز إلى المضرية و القيسية والابتعاد عن اليمانية، ولما كثرت حركات المعارضة خرج حيوة بن ملامس الحضرمي سنة "156هـ" بإشبيليا، وكان يرأس جند حمص هناك[3]، وأيده عبد الغافر حميد اليحصبي رئيس لبلة، وعمر بن طالوت اليحصبي رئيس باجا، وسارت جموع الخارجين نحو قرطبة ، تطالب بدم أبو الصباح اليحصبي رئيس اليمانية، الذي قتله عبد الرحمن الداخل، ونازله جيش عبد الرحمن الداخل الذي كان بقيادة ابن عمه عبد الملك بن عمر المرواني، ودارت بين الطرفين معركة رهيبة حيث قُتل حيوة بن ملامس الحضرمي، ونتيجة للخسائر الكبيرة في صفوف المعارضين؛ ترك عبد الغافر المعركة

[1]- ابن القوطية، افتتاح الأندلس، صـ55.
[2]- ابن الآبار أبو عبد الله القضاعي، الحلة السيراء، ج1، ت.658هـ، (الشركة العربية للطباعة 1962م) صـ59.
[3]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، صـ9.

وركب البحر، ولحق بالمشرق، ثم سار عبد الرحمن الداخل إلى اشبيليا سنة "157هـ"وأوقع بأهلها، لكثرة خروجهم على حكمه، وعاد إلى قرطبة منتصراً [1].

6. حركة محمد بن يوسف الفهري سنة "168هـ".

كان أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري، في سجن عبد الرحمن الداخل في قرطبة، وقد فكّر بالهرب من سجنه، حيث ادعى أنه فقد بصره وتظاهر بذلك، إلى الحد الذي أقنع الحراس وأهملوا مراقبته[2]. ولما اطمأن رتب أمره مع بعض أعوانه في قرطبة وهرب مستخدماً سرداباً كان يربط السجن بالنهر، وذلك بغفلة من حراسه الذين كانوا يظنون حقاً بأنه لا يبصر، فما كان منه إلا أن عبر النهر سباحة، حيث كان أعوانه ينتظرونه على الضفة الأخرى وقد أعدوا له متطلبات الفرار، وتوجهوا به إلى طليطلة، حيث يكثر بها أنصار أبيه ومؤيديه، ولما بلغ طليطلة دعا الناس لنفسه فاجتمع له الكثيرون واستولى على مناطق عديدة، وسار بقواته حتى نزل قسطلونة وخرج له عبد الرحمن الداخل من قرطبة بجيشه، ودارت معركة بينهما في سنة "168هـ"، انهزم فيها أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري، والتجأ إلى أحدى قرى طليطلة، وظل بها حتى توفى سنة "170هـ" ثم تحرك أخوه القاسم الفهري ولكنه ما لبث أن استسلم، وبذلك انتهت حركات أبناء الفهري بالأندلس[3].

7. حركة بني أميّة:.

بعد استقرار الأوضاع في بلاد الأندلس وفد إليها الكثيرون من أمراء الأمويين ومؤيديهم، فقربهم عبد الرحمن الداخل وأكرمهم، واسند إليهم المناصب في قيادة الجيش والإدارة، كما أجزل لهم

---

[1]-ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، صـ50.
[2] العذري، ترجيح الأخبار، صـ11.
[3] ابن خلدون، العبر، ج4، صـ269.

العطاء والهدايا، لكن بعضهم أنكر الجميل وتآمر طمعا في السلطة والنفوذ، حيث قام عدد من أبناء البيت الأموي بحركات من داخل القصر والعائلة بالتعاون مع الآخرين، هدفها القضاء على الأمير عبد الرحمن الداخل[1].

منها:-

- **حركة عبد السلام بن يزيد 163هـ.**

اتفق عبد السلام بن يزيد بن هشام بن عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، وهو ابن أخ الأمير عبد الرحمن الداخل للتآمر، دفعهم لذلك الطمع في السلطة وقد أيدهم كل من:- (أبو عثمان عبيد الله بن عثمان، وابن يزيد بن يحيى التيجي، وابن أبي غريب) واجمعوا أمرهم على الخروج على عبد الرحمن وقتله، ولكنّ عملهم انكشف وتم القبض عليهم، حيث سجن أبو عثمان عبيد الله بن عثمان لسابقة فضله ، حتى مات فيه وعاقب الآخرين[2].

- **حركة المغيرة سنة 167هـ.**

إن المغيرة ابن الوليد بن معاوية، هو ابن أخ عبد الرحمن الداخل، قد اتفق مع بعض زعماء العرب بالأندلس للعمل على خلع عمه عن طريق التمرد والعصيان، ومن الزعماء الذين أيدوه:- (هذيل بن الصميل بن حاتم) لكن أمره انكشف للأمير عبدالرحمن الداخل، وقبض عليهم واعترفوا بذلك فتخلص منهم، وبدأ يفكر بأخيه الوليد بعد مقتل ابنه لمغيرة فأمر بإخراجه من الأندلس، ونفاه

[1] ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، صـ53.
[2] المقري، نفح الطيب، ج4، صـ39.

وعائلته إلى أفريقيا، وحمل معه كل ما يملك[1]. ظلّ عبدالرحمن الداخل يواجه حركات التمرد والعصيان في الداخل، طوال حكمه الأندلس فأخضعها وأقام فيها هذا الملك الشامخ.

ب . تأمين الطّرق التجارية:.

يعتبر تأمين الطرق الداخلية والخارجية، من العوامل التي ساعدت في استتباب الأمن، ورواج التجارة في الأندلس، فقام حكام الأندلس على توفير الحماية اللازمة للطرق التجارية الداخلية والخارجية، لأن طبيعة بلاد الأندلس بصفتها شبه جزيرة تحيط معظم جهاتها البحر ،يفرض ضرورة اهتمام أهلها بالشؤون الملاحية، إذ لامناص لأهلها من توجيه العناية التامة بالبحر وما يتعلق به، سواءاً كان ذلك بتنظيم رسمي أو شعبي[2].فالسبب الأول: يتعلق بالجانب العسكري، المتمثل في حماية البلاد من الأعداء المحيطين بها؛ سواء من جهة الشرق أو من جهة الغرب، أما السبب الثاني؛ فيتعلق بالجانب الاقتصادي إذ أن الأندلس بلد يحيطه البحر من الشرق والغرب والجنوب[3]، فيعزلها عن باقي أقطار العالم خاصة منها الأقطار الإسلامية، ومن ثم لا يمكنها ربط الاتصال به إلا إذا استطاعت امتلاك قوة بحرية؛ تسهل إقامة علاقات تبادل تجاري وحضاري مع الدول الأخرى؛ وكذلك لاكتساب مكانة اقتصادية تتمثل في القدرة على السيطرة على منافذ التجارة العالمية ونعني بها حوض البحر المتوسط، كما يتسنى لها حماية موانئ البلد، التي تعتبر مركزاً للتجارة الخارجية.

لقد قضى الأمير عبد الرحمن فترة حكمه في منازلة أعداءه، حتى أرهبهم واستطاع في فترة وجيزة أن يوطد أركان حكمه في الأندلس، ولما كانت أرض الأندلس خصبة،كثيرة الأنهار والأودية؛ فقد اهتم بالزارعة وجلب الأشجار والنوى من دمشق، فأنتجت أرضه وأثمرت، وقد درّت عليه الزراعة

---

[1] ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، صـ57.
[2]- الخلف سالم بن عبد الله الخلف، نظام حكم الأمويين، ج1، ط1. (السعودية: المدينة المنورة، 2003م)، صـ558.
[3]- القلقشندى، صبح الأعشى، ح5، ص212.

أموالا طائلة،إضافة إلى الجزية والخراج، وبعد ما استقرت له الأمور واشتد عوده، وتمهد حكمه، بعد ذلك اتجه للعمران بعاصمته قرطبة وبنى المسجد الجامع والقصر[1]. ومما سبق يتضح من صفات الأمير عبد الرحمن الداخل؛ إنها من صفات القائد الذي يمكن أيقود أمة، وينشئ أجيالاً ودولة، ولاشك أن اتجاهه واهتمامه بدولته دليل على أن الأمن في دولته كان مستتباً والأحوال مستقرة.وفي سنة(172هـ /788م) توفى عبد الرحمن بن معاوية، وكان مدة حكمه ثلاثة وثلاثين سنة[2]، وتولى الحكم من بعده ابنه هشام، سنة (172هـ/788م) وكانت الدولة متماسكة الأطراف، وفور توليه خرج عليه أخويه (سليمان و عبد الله) واستقر الأمر بين هشام وسليمان على أن يفارق سليمان الأندلس، وقد أعطاه هشام مبلغ "ستين ألف دينار" و رضى سليمان بهذا المبلغ فسار إلى المغرب وأقام بها، وكان هشام من أهل الخير والصلاح وكان كثير الغزو والجهاد، وهو الذي أكمل بناء المسجد الجامع بقرطبة، ذلك المسجد الذي كان أبوه قد شرع فيه. توفى هشام سنة (180هـ/796)[3].

استخلف الأمير هشام الحكم ابنه من بعده في سنة (180هـ/796م)، وكان حازماً وصارما واستكثر من المماليك بالأندلس، وقضى على مشاكله الداخلية المتمثلة في خصومه، وبعد ذلك شرع في تنظيم دولته، واهتم بالنواحي العمرانية فيها، وتوفى عام (206هـ/822م)[4].تولى إمارة الأندلس من بعد وفاته ابنه عبد الرحمن في سنة(206هـ/822م) الذي عرف بالأوسط وكان عبد الرحمن عالماً بعلوم الشريعة وفي عهده كثرت الأموال وذلك بفضل الزراعة، فاهتم بالعمران واتخذ القصور الشامخات وجلب إليها الماء، وكان عهده عهد سكون وهدوء، توفى في عام (238هـ/854م)[5]. وخلفه من بعده ابنه محمد؛ فجرى على سيرة والده في عدل الرعية وسيّرَ

---

[1]- ابن خلدون، العبر، ج3، صـ212

[2]- ابن الآبار، الحلة السيراء، صـ197.

[3]- ابن عبد ربه أحمد، العقد الفريد، ج5، ب.ط، تحقيق محمد سعيد العريان (بيروت، دار الفكر)، صـ215.

[4]- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ت.عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: 1962م)، صـ96.

[5]- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، صـ135.

حملات عدة إلى بلاد الشرك وقامت في عهده ثورات استطاع أن يقضي عليها، وفي سنة (273هـ/889م) توفى الأمير محمد بن عبدالرحمن، وكان فترة إمارته خمس وثلاثين سنة[1].

وتولى إمارة الأندلس من بعده ابنه الأمير المنذر، في سنة (213هـ/889م)، وقد بويع له، وأطاعه الناس، ولم تطل فترة حكمه وتوفى بعد حكم دام سنة واحدة وإحدى عشر شهراً[2]، وبعد وفاته تولى إمارة الأندلس أخوه، عبدا لله بن محمد بن عبد الرحمن، في سنة (275هـ/891م)، وقد خاض في عهده معارك عديدة، ضد خصومه لتوطيد سلطانه، وفي عهده نضبت موارد الدولة، من كثرة الحروب وتمزقت أوصالها، وفي سنة (300هـ/961م)، توفى الأمير عبد الله[3].

ثانياً: الأندلس في عهد الخلافة (316 – 422 هـ / 929 – 1030 م) :

تولى إمارة الأندلس في سنة (300هـ/ 919م)، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الناصر لدين الله، وكان عظيم الجسم قصير الساقين، استطاع بقوته وحنكته وذكائه أن يثبت أركان دولته، وفي عهده أصبحت قرطبة ذر العلم وقبلة العلماء، ومنذ أن تسلم مقاليد الإمارة؛ فقد شرع في تنظيم دولته، وقضى على كل المشاكل التي كانت قد واجهته، ورأى عبد الرحمن أن اسم الإمارة لم يعد يناسب دولته، فاتخذ لقب الخليفة في سنة (314هـ/929م)، وتسمي بأمير المؤمنين ومنذ ذلك الوقت أصبحت الأندلس خلافة إسلامية[4].بعد أن نظم أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر دولته، التفت إلى الإنشاء والتعمير، وقسّم جباية البلاد إلى ثلاثة أقسام: ثلث للجند، وثلث مدخر، وثلث ينفقه على النواحي العمرانية، فأمر بإنشاء مدينة تليق به فأنشأت في عهده مدينة الزهراء والتي أصبحت قاعدة ملوكية، ونقل إليها

---

[1]- عنان، دولة الإسلام في الأندلس، صـ289.

[2]- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، صـ98.

[3]- زين الدين عمر بن مظفر ابن الوردي ، تتمت المختصر في أخبار البشر، ج1، تحقيق أحمد رفعت،(دار المعرفة للطباعة والنشر 1970)، صـ379.

[4]- أبو مروان حيان بن خلف، المقتبس في أخبار أهل الأندلس، ج5، (مدريد: سنتر بدور شامينا ودوزكور نبطي، 1999م)، صـ241.

ذخائر البلاد ودار السكة[1]. وفي سنة (350هـ/ 966م)، توفى الخليفة عبد الرحمن الناصر وكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر[2].

تولى خلافة الأندلس بعد وفاة عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم المستنصر، وهو في الثانية والأربعين من عمره ولم يكن قد أنجب ولداً ولكن الله حباه بطفل سماه عبد الرحمن، ولكن الطفل توفى في حداثة سنه فحزن عليه حزناً شديداً، ثم أنجب ولداً سماه هشاماً، فكان ولي عهده. امتاز عهد الحكم للمستنصر بازدهار العلوم والآداب، ويرجع الفضل له في إنشاء المكتبة الأندلسية، وفي سنة (366هـ/916م) توفى الحكم المستنصر، وكانت خلافته خمسة عشر سنة وخمسة أشهر[3].

خلف الخليفة الحكم المستنصر ابنه هشام، وعمره حينئذ عشر سنين، ولقب بالمؤيد وكان طفلا صغيراً، غارقا في اللهو، وكانت والدته صبح وصية عليه، وحجر عليه حاجبه محمد بن أبي عامر، وتلقب بالمنصور وحجبه عن أعين الناس، ولم يكن أحد يستطيع رؤيته، وقبض محمد بن أبي عامر على زمام الملك، وجعل نفسه الحاكم للدولة وأصبحت الأمور كلها في يده وساءت علاقته بوالدة الطفل هشام، و اشتغل بالغزو والجهاد، وفي عهده امتلأت الدولة بالغنائم، وامتلأت خزائنه بالأموال، كما اهتم بالإنشاء والتعمير، إلى أن توفاه الله في سنة (392هـ/1002م)، وأوصى المنصور بن أبي عامر أن تؤول الحجابة من بعده لابنه عبد الملك بن أبي عامر، وتمت البيعة لابن المنصور في رمضان (392هـ/1002م)، ولقب بالمظفر وسيف الدولة، وأرسل كتبهُ إلى مدن مملكته بالأندلس، يعلم بوفاة أبيه، وتوليته لتدبير أمور المملكة، وقد بايعه الناس وأحبوه؛ وذلك لأنه فور توليه للحجابة أظهر العدل وحمى الشرع وكثيرا ما كان يتفقد الرعية، وقد أسقط عن جميع البلاد سدس الجباية وكان باراً بوالديه وكان واصلا رحمه، وقد غزا سبع غزوات في مدة حكمه، وكانت أول غزوة له في سنة (392هـ)، إلى بلاد الإفرنج، وفتح حصن ممقصر، في ثغر برشلونة،

[1]- ابن حيان، المصدر السابق، ج5، صـ243.
[2]- ابن الوردي، المختصر في أخبار البشر، ج1، صـ430.
[3]- ابن الأثير، الكامل، ج8، صـ535.

وأسكن المسلمين فيه، سار المظفر سيرة والده المنصور، حتى إن ملوك الأعاجم هابوه وكانت له منزلة عظيمة عندهم، وتوفى (399هـ/1002م) وقيل أن أخيه عبد الرحمن قد دسّ السم له، بواسطة أحد خدم عبد الملك[1].

بعد وفاة المظفر، خلفه عبد الرحمن بن أبي عامر، وكان يلقب بشنجول ، وهذا الاسم غلب عليه من قبل أمه عبدة بنت شنجة، وبعد موت المظفر ركب عبد الرحمن إلى قصر الخلافة، ودخل على هشام المؤيد وبقى مدة في القصر وقد قلده الخليفة هشام المؤيد الحجابة وخرج منه إلى قصر الزاهرة وبايعه الناس وتلقب بالناصر[2]. بعد تولي عبد الرحمن الحجابة نظر في أمر الدولة، ولكنه لم يكن رجلاً سديد الرأي؛ قد أنفق أموال الدولة في غير موضعها، حتى إن الناس أبغضوه وطلبوا من الله الدعاء أن يصرفه عنهم، ولم تمض على حجابته اشهر حتى طلب الخليفة هشام المؤيد أن يوليه العهد من بعده، مما زاد غضب الناس عليه، وكان عبد الرحمن غارقا في اللهو والمجون، ومجاهراً بأفعاله، ولم يتراجع عنها بل أكثر من لذاته، سار عليه محمد بن هشام ابن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر بجيش لا يستهان به، وأراد أن يعيد الأمور إلى نصابها، ولما علم عبد الرحمن بن عامر أتى قلعة رباح وأقام عندها لينظر ماذا يفعل، فأرسل إليه محمد بن هشام يؤمنه على نفسه إذا دخل في طاعته ولكنه رفض وفر هارباً، فقُبض على عبد الرحمن وقُتل ، وسر الناس سروراً عظيما بمقتله [3].

تولى الأمر بعد مقتله محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبدالرحمن الناصر ولقب بالمهدي، وكنيته أبو الوليد، وتولى الحجابة وهو في العمر الثلاثة وثلاثون سنة، ولما استوثق له الملك أخرج الخليفة هشام المؤيد من القصر، وأسكنه دار الحسن بن أبي يحيى، وأوصى له بولاية العهد من بعده؛ وأتى برجل نصراني ميت يشبه هشام المؤيد وأشاع بين الناس إن الخليفة بن هشام المؤيد قد

---

[1]- ابن خلدون، العبر،ج4، صـ142.
[2]- عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الثاني، صـ687.
[3]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، صـ49.

توفى، وفي عهده أظهر محمد بن هشام من أفعال الخلاف مالا يحصى، وكان له من الخمر مائة خابية، ومثلها من المزامير والطرب والغناء، ففاق في لهوه ومجونه سلفه عبد الرحمن ففسد خلقه، واختل دينه وعقله، كل هذا كان من أسباب القيام عليه، وخلعه من منصبه[1].

وخلفه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، الذي يكنى "أيوب" ولقب بالمستعين بالله، تولى العرش وعمره اثنان وخمسون سنة (400هـ/1009م)، وفي عهده أتى الإفرنج ووصلوا إلى سرقسطة، فخرج سليمان لقتالهم، ولكن عندما شاهد سليمان أفعال الإفرنج في البربر واختراقهم لصفوفهم؛ خارت قواه وارتبك، فسار بنفسه إلى شاطبة، ولما انهزم سليمان نزل ابن عبد الجبار بقرطبة فدخلها، وأخذ البيعة لنفسه وقد بايعه هشام المؤيد[2].

كان من أهم نتائج ضعف الولاة في هذه الفترة بعد ولاية المنصور؛ هو ضعف الدولة الإسلامية فأصبحت مصيرها إلى الزوال، و سميت هذه الفترة بعصر الفوضى، وذلك لكثرة ما ساد فيها من اضطرابات واغتيالات، تسلم بعدها محمد بن هشام مقاليد الأمور للمرة الثانية، وكان الناس قد كرهوه من قبل لسوء سلوكه، وقد عين محمد بن هشام واضحاً حاجبا عليه، وقد تواعدته طائفة من العبيد وقرروا قتله، واتفقوا مع حاجبه واضح، فدخلوا عليه وقتلوه[3]. خلف محمد بن هشام يحيى بن علي بن حمود، وكنيته أبو زكرياء، وكان عمره اثنان وأربعون سنة، ولقب بالمعتلي بالله سنة (412هـ/1022م)وقد خلعه البربر سنة (413هـ/1023م)، وخلفه القاسم بن حمود وتلقب بأمير المؤمنين، ولفساده خلعه أهل قرطبة، بعد أن حاصروه في القصر، وحكم حوالي سبعة أشهر وأيام، وتولى بعده عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله، وكنيته أبو المطرف ولقب بالمستظهر،وكانت خلافته سنة (414هـ/1024م) وقد تودد للبربر وأكرمهم، وحاول إعادتهم إلى

[1]- ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج2، صـ69.
[2]- ابن الأثير، الكامل، ج8، صـ535.
[3]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج3، صـ100.

قرطبة، فأنكر أهل قرطبة عليه ذلك، وقرروا التخلص منه، وبحثوا عنه وتابعوه حتى دخل الحمام فهجموا عليه وقتلوه[1].

خلفه محمد بن الرحمن بن عبيد الله، ولقبه المستكفي، وكان مشهوراً بالتخلف والبطالة، أسير الشهوة سيء السمعة، تم خلعه في سنة (416هـ/1026م)، وبعد أن تم خلعه، أعيدت دولة يحيى بن علي سنة (417هـ/1027م)، ولم تزد ولايته ثلاثة أشهر([2]). خلف يحيى بن علي هشام بن محمد بن عبد الملك ولقب بالمعتد بالله بويع سنة، (418هـ/1027م) واستمرت خلافته أربع سنوات وسبعة أشهر، وخلع سنة (1031/422م)، ويعتبر المعتد بالله آخر خلفاء بني أمية, وبذلك سقطت الدولة الأموية في الأندلس (422هـ/1031م)[3].

[1] ابن خلدون، العبر، ج4، صـ150.
[2] ابن عذارى، البيان المغرب، ج2،صـ141-143.
[3] المصدر السابق ج2،صـ141-143.

التطور الزراعي والصناعي والعمراني:

أولاً: التطور الزراعي:-

إن التنوع في جغرافية الأندلس ومناخها، كان سببا لتنوع غطائها النباتي، كما إن توفر الأنهار وخصوبة التربة ببعض المناطق، ساعد على نمو ثروة نباتية كثيرة ومتنوعة، من مختلف الأشجار والنباتات، ومن مساحات تمتد بالخضرة، سواء كانت مساحات زراعية أو رعوية.

1. الغابات:-

يغلب على الأندلس الطابع الجبلي، وبما أن مناخها يتقلب مابين الحر والاعتدال وشدة البرد؛ فقد تباينت مظاهر غطائها النباتي عموماً، فالأقاليم المعتدلة أو المائلة إلى البرودة، تكسوها غابات كثيرة الأشجار مختلفة النباتات، سواء بالجبال أو بالسهول بينما تختفي هذه الغابات في المناطق الحارة، فتبدوا مجذبة قاحلة، سواء من بعض ما ينمو فيها من نباتات المناخ الجاف، وأكثر ما اشتهر به الأندلس هو غابات الصنوبر[1] التي كانت بمثابة مورد هام لمادة الخشب، والتي استعملت في عديد من الصناعات، خاصة منها :- صناعة السفن[2]، كما استعملت في أعمال البناء والتعمير وأعمال التجارة، والنحت كصنع الأثاث، والأواني المنزلية، والتحف الجميلة[3]. هذا فضلا عن استعمال هذه الأخشاب كسلعة تجارية.

وإلى جانب الصنوبر أشجار أخرى مثل: شجر البقس، الذي ينمو في جبال طرطوشة وهو (الجبل المعروف المشهور فيه جبل البقس)[4]. وشجر آخر يشبه شجر الساج تتخذ منه الآلات والظروف)[5].

---

[1]- أبو عبدالله محمد الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، ت. احسان عباس، (بيروت: مكتبة لبنان، 1984م)، صـ39.
[2]- القلقشندى، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، ج5،صـ219.
[3]- حسين يوسف دوي دار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، (138هـ-422هـ/755هـ-1030م)، صـ352.
[4]- أبو محمد الرشاطي، وابن خراط الاشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، ت.اميليو مولينا فاتيتو بوسل بيلا، (مدريد ، المجلس الأعلى للبحوث العلمية، 199)، صـ149
[5]- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، صـ366.

أما فريش الغالب على أشجارها هو القسطل[1]. وكذلك طليطلة[2]، وبوشقة "يوجد شجر الزعرور"[3]، كما يكثر شجر التوت في مدينة بسطة[4]، وفي حصن قيشاطه نوع من الأشجار تستخدم أخشابها في صناعة القصاع والأطباق[5]. كما كست أشجار الزيتون مساحات شاسعة في السهول والجبال، وأشهر غابات الزيتون في الأندلس؛ هي التي بأشبيلية في جبلها المعروف بالشرف[6]. كما ينتشر شجر البلوط ببلاد الأندلس على نطاق واسع، فرغم أنه من الأشجار الغابيه التي تنمو من غير غراسة، تجد أن الأندلسيين قد أولوه عناية خاصة، وهذا بغراستهم له، وجمع وادخار ثمراته، والسبب هو أن الأندلس كانت كثيرا ما تتعرض لسنوات عجاف، ينعدم فيه القوت كسنوات القحط والمجاعة، أو الفتن أوالحروب، فيصبح البلوط غذاءاً للناس، يقتاتون منه خلال هذه المرحلة الصعبة[7]. وبالرغم من كل هذه الثروات الغابية الكبيرة، والمتنوعة والتي يخيل إلينا بأن بلاد الأندلس كلها جنة على الأرض، وأنه ليس بها منطقة جرداء أو مقحلة، إلا إن هناك بعض الآراء والتعليقات مفادها:– أن بالأندلس مناطق جدباء وقاحلة، كما قال الأستاذ حسين يوسف دوي دار " فيها المناطق الخصبة والمناطق الجبلية القاحلة"[8]. ولكن يظل ما وصفه لنا الجغرافيون والرحالة والمؤرخون وحتى الشعراء والأدباء، الذين أشادوا بحسن الأندلس _يظل_ واقعاً حقيقيا لا غبار عليه، لأنهم ذكروا ما رأوه من البقاع التي زاروها أو أقاموا فيها، فالمعروف من كتب التاريخ أن المسلمين عندما دخلوا الأندلس اختاروا العيش في المناطق الخصبة ، وابتعدوا عن المناطق الوعرة، حتى إن هناك مناطق لم يدخلوها قط، ومناطق أخرى دخلوها ولكنهم لم يستطيعوا العيش فيها طويلا، بل إن جنود موسى بن نصير عندما اقتحم بهم مفاوز جليقية واشتريس "استوحشوها" ،

[1] - الرشاطي وابن الخراط الاشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، صـ175.
[1] مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، صـ50.
[2] - المصدر السابق ، صـ50.
[3] الحميري، الروض المعطار، صـ612.
[4] المصدر السابق، صـ113.
[5] المصدر السابق، صـ488.
[6] الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج1، صـ580.
[7] المصدر السابق ، ج1، ص580.
[8] دويدار، المجتمع الأندلس في العصر الأموي، صـ239.

وطلبوا منه ألا يغامر بهم في هذه الأرض القاحلة[1]. ومنه نستنتج أن معظم أوصاف الأندلس قد اقتصرت على المناطق التي استوطنها المسلمون وعمروها، بل و أقاموا عليها حضارة من أرقى الحضارات.

2- المساحات الرعوية:

أن المتصفح لكتب الجغرافيين والرحالة، الذين كتبوا عن أخبار البلاد الأندلسية، يجد أنها قد أشادت في أكثر من موضع بكثرة مراعي الأندلس، حتى إننا لا نكاد نقرأ عن بلد إلا وقد قيل عنه؛ إنه بلاد زرع وضرع، ومن أهم هذه المناطق التي تميزت بكثرة المراعي، والمساحات الخضراء نذكر اشبيلية، التي يقول عنها ابن الدلائي أنه " فيها المراين وهي مواضع ندية ومروج لا تتهشم صيفاً، وتتمادى غضارتها"[2]. بل يقول عن كثرة مراعيها وشساعة مساحتها المعشوشبة " لو اقتصرت مسارح الأندلس عليها لوسعتهم"[3]. ويصف ابن سعيد المغربي مدينة غرناطة بقوله "بسيطها يمتد فيه البصر مسيرة يومين بين أنهار وأشجار وميادين مخضرة"[4]، وكيف لا تخضر أراضي غرناطة وقد شقها نهر شنيّل، الذي يعد من أكبر أنهار الأندلس، وأيضاً مدينة بلنسية التي "حيث خرجت من جهاتها لا تلقى إلا منازه ومسارح"[5]. وبكثرة المراعي كثرت معها الماشية من أغنام وأبقار وغيرهما، وصف ابن فضل الله العمري الجزيرة الخضراء "بكثرة الزرع والماشية[6]، ومثلها مدينة رندة[7]. كما اختصت قلعة رباح أيضا بالمسارح المعشوشبة، مما جعل ماشيتها من أحسن المواشي[8]، وكذلك جزيرة ميروقة التي يصفها ابن حوقل بأنها "لها بسائط فسيحة،

---

[1]- رجب عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، صـ99.
[2]- ابن الدلائي، نصوص عن الأندلس من كتاب ترجيح الأخبار، صـ96.
[3]- المصدر السابق، صـ96.
[4]- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج2، ط4، ت.شوقي ضيف (القاهرة: دار المعارف) صـ102.
[5]- المصدر السابق ، ج2، صـ298.
[6]- ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع، د.ت، حمزة أحمد عباس (المجتمع الثقافي، أبوظبي، الأمارات العربية المتحدة،2002م) صـ263.
[7]- المصدر السابق، صـ237.
[8]- الرشاطي وابن الخراط الأشبيلي، اقتباس الأنوار، صـ141.

وبطائح عريضة، ولها جبل منيف كثير المسارح والمياه"[1]، أما مدينة ألبيرة[2] فقد كانت تشبّه بغوطة دمشق؛ لكثرة مساحتها الخضراء. وبالإضافة إلى الماشية التي قد تكثر بفضل هذه المسارح، فإن هناك ثروة أخرى يتضاعف مردودها، ويحسن إنتاجها في المناطق المعشوشبة والمزهرة؛ وهي النحل المنتج للعسل، وعسل الأندلس أنواع عديدة، وكمثال على هذه المدن التي تكثر بها تربية النحل لكثرة مسارحها؛ مدينة باجا فأرضها "أرض زرع وضرع وعسلها نهاية في الحسن"[3]. فقد ساهمت المراعي في تكوين ثروة حيوانية المتمثلة في المواشي، وثروة إنتاج حيواني المتمثلة في إنتاج عسل النحل.

3- المحاصيل الزراعية:-

نبذة عن أحوال الزراعة بالأندلس:-

بما إن الزراعة تمثل جزء من اقتصاد الأندلس، الحري بنا أن نشير ولو باقتضاب إلى أهم ما يميز العصر الأموي بالنسبة للمجال الزراعي، والمعلوم أن المناطق الزراعية غالبا ما تتسع ويزداد إنتاجها فترات السلم والأمن[4]، والعكس بالنسبة لفترات الاضطراب كالفتن والحروب، أو حتى الكوارث الطبيعية التي لا دخل للإنسان فيها، والتي تضاف إلى جملة الظروف المؤثرة في اقتصاد أي بلد، فالأندلس عرفت الكثير من الكوارث الطبيعية، كالجفاف والجراد[5]، وعليه فإن ما يمكن قوله عن الزراعة بالأندلس أيام الأمويين هو أنها عرفت انتعاشاً كبيراً، لاهتمامهم بالقطاع الزراعي فقد حسنوا طرق الري، و انشأوا الترع والجسور، وشقوا القنوات، وأقاموا القناطير، "كما وضعوا تقويما للزراعة عرف (بالتقويم القرطبي) أصبح دليلا تحدد على أساسه مواعيد زارعة

---

[1]- الحميري، الروض المعطار، صـ342.
[2]- القزويني، كتاب اثار البلاد، صـ337.
[3]- أبو الفداء، تقويم البلدان، صـ168.
[4]- عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، صـ135.
[5]- أبو علي الحسن ابن القطان، نظام الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزمان، ط1، ت.محمود علي مكي، (بيروت دار الغرب الإسلامي، 1990م) صـ226-228.

المحاصيل المختلفة"[1]. كما أوجدوا نظام الإقطاع العسكري، ويعني إعطاء الجند أراضي ليزرعوها بأنفسهم، أو عن طريق غيرهم، مما زاد انتعاش الزراعة وظل هذا النظام معمولاً به، إلى أن جاء المنصور ابن أبي عامر فاستبدله بنظام الأرزاق والرواتب في الجيش، أما من ناحية المحاصيل الزراعية فالمعروف إن بني أمية كان لهم الفضل في إدخال عدة محاصيل مشرقية للأندلس، لم تكن بها قبل مثل: النخيل والقطن، والتفاح وقصب السكر، والأرز وغيرها، وقد عرف عن عبد الرحمن الداخل أنه " يرسل عملاءه إلى المشرق لجلب أشجار الفاكهة من الشام"[2]. ويقول كارل بروكلمان بخصوص ما بلغته الزراعة من تطور في العهد الأموي بفضل الاستقرار الداخلي " شهدت الأندلس تفتّح حضارة زاهية أثارت إعجاب أوروبا في العصر الوسيط، ذلك إن الزراعة والبستنة، والصناعة، والتجارة، انتهت كلها إلى درجة من الازدهار بعيدة، فقد زرع العرب الحبوب، وأدخلوا إلى أوروبا زراعة النخيل، ولا تزال بقايا حدائقهم ما ثلة إلى اليوم، في حقول النخيل في ألش جنوبي مقاطعة بلنسية"[3].

ولكن رغم كل هذا الازدهار في الزراعة؛ فلا ننكر تعرضها لبعض المشاكل بفعل حدوث الكوارث الطبيعية، حيث يروي ابن حيان عن سنة " 232هـ " أنه كان فيها القحط الذي عم الأندلس فهلكت المواشي، واحترقت الكروم، فكثر الجراد، فزاد في المجاعة وضيق المعيشة"[4]

ثم يروي ابن عذري المراكشي إن سنة "235هـ" كان "فيها سيل عظيم بجزيرة الأندلس"[5]، وفي آخر أيام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أصاب الأندلس قحطا شديداً، يقول ابن خاقان "وقحط الناس في بعض السنين في آخر مدة الناصر لدين الله"[6]، وعليه يمكن القول إن هذه

---

[1]- دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، صـ345.
[2]- علي حسين الشطشاط، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، (القاهرة:دار قباء للنشروالتوزيع 2001 م)، صـ100.
[3]- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، د.ط، ترجمة نبيه أمين، ومنير البلعبكي، (بيروت: دار العلم للملاين 1997م)، صـ296.
[4]- ابن حيان القرطبي، المقتبس، ص143.
[5]- المراكشي، البيان المغربي، ج2، صـ89.
[6]- أبو الفتح ابن خاقان، مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ط1، ت. محمد علي شوابكه، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983م) صـ249.

العوامل، أثرت فعلاً في الإنتاج الزراعي، إلا أن تأثيرها ظل نسبيا وبصورة مؤقتة والراجح هو أن الزراعة عرفت قفزة نوعية زمن بني أمية.

ثانيا: التطور الصناعي:-

أولاً: الصناعات الزراعية:- إن كثرة المواد الخام بالأندلس وتنوعها، سمح بقيام صناعات مختلفة في مختلف المدن، ومن هذه الصناعات نذكر الصناعات الزراعية:-

1. الصناعات الغذائية :-

إن ما جمعناه من معلومات بخصوص هذه الصناعة من مختلف المصادر يكشف عن براعة أهل الأندلس ومهارتهم وحسن تدبيرهم أيضاً، وتفوقهم في مجال الصناعات الغذائية، التي نذكر منها على سبيل المثال: الأطعمة المجففة.

. **الأطعمة المجففة:** لقد مهر أهل الأندلس في تجفيف الأطعمة كالفواكه، مثل العنب الذي يعمل منه الزبيب، وقد اشتهرت منطقة المنكب[1] بذلك، وتجفيف فاكهة التين، وقد ورد عن السقطي "إن مما كان يباع في الأسواق الفواكه اليابسة"[2]، وكذلك الأمر بالنسبة للأسماك حيث كانت تجفف وتملح وتعلب، وهذا نظراً لكثرة الأسماك في الأندلس وتنوعها، وأهم منطقة عرف عنها ذلك جزيرة شاليطس، والتي يقول عنها الحميري: " وبحرها كثير السمك وفيها يحمل مملح إلى اشبيلية"[3].

. صناعة الزيت:

تعتبر صناعة الزيوت من أشهر الصناعات الغذائية التي عرف بها الأندلسيون، كما تعد منطقة اشبيليا أهم المناطق إنتاجا لزيت الزيتون، وذلك لكثرة زيتونها خاصة في جبلها المعروف بالشرف، وقد حققت في صناعة الزيتون فائضاً جعلها تصدر منه إلى خارج بلاد الأندلس، حيث "يتجهز به منها إلى أقصى المشارق والمغارب"[4].

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج1، صـ68.
[2] السقطي، في أدب الحسبة، د.ط، (باريس: ومعهد االعلوم المغربية،ة 1931م) صـ19.
[3] المقري، نفح الطيب، ج1، صـ168.
[4]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، صـ541.

. صناعة الخمور:

إن صناعة الخمور لم تتوقف في الأندلس، على طول العهود التي مرت بها رغم تحريم الإسلام لها، حيث لم يفلح أحد الحكام المتعاقبين عليها في منع ذلك، وهذا لتعود أهل الأندلس على شربها، ففي عهد بني أمية "حاول الحكم بن عبد الرحمن والملقب بالمستنصر بالله، أن يمنع الخمر نهائيا غير أنه أخفق، يقول الضبي عن ذلك "وقد كان قد رام قطع الخمر في الأندلس وأمر بإراقتها وتهدد في ذلك وشاور في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله فقيل له: إنهم يعملونها من التين وغيره فتوقف عن ذلك"[1].

. صناعة الملح و السكر:

نظرا لتوفر مناطق استخراج الملح، ومزارع قصب السكر، وجدت بالأندلس صناعة كل من الملح والسكر، اللذان يعتبران من أهم المواد الغذائية، وتتم صناعة الملح "بطريقة التجفيف المتعارف عليها منذ أقدم العصور في أحواض الملح"[2]، بينما السكر كانت تنتج منه ثلاثة أنواع أساسية، ذكرها الدكتور أحمد طاهر " السكر المسحوق، والسكر الأحرش، والسكر الطبرز" وسكر الطبرز المعروف بالسكر النباتي[3]. هذا وقد اشتهرت الأندلس بصناعات أخرى، مثل:- صناعة الأجبان، والألبان واختصت بذلك عدة مدن، مثل قنتورية، و أورية، وجيّان، وشاريش هذه الأخيرة التي تفوقت بها صناعة المجبّنات لطيب جبنها حتى انه كان يقال عنها "من دخل شاريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم"[4].

---

[1]- الضبي، بغية المتلمس في تاريخ أهل الأندلس، ج6، (دار الكتاب العربي، 1967م) صـ18.
[2]- أحمد الظاهري، الأندلس في عصر بني عباد، تقديم فاضل السباعي، (سوريا، اشبيليا للدرسات والنشر والتوزيع، 2009م)، صـ368.
[3]- المصدر السابق ، الأندلس في عصر بني عباد، تقديم فاضل السباعي، صـ399.
[4]- المقري، نفح الطيب، ج1، صـ148.

2. الصناعات النسيجية:

تعد الصناعات النسيجية من أكثر الصناعات رواجاً وازدهاراً، بالأندلس في مختلف العهود التي مرت بها وذلك لكونها تزخر بالمواد الخام اللازمة لهذه الصناعة كالقطن والكتان والحرير والأصواف،وكذا المواد التي تستخرج منها الأصباغ، من القرمز والزعفران وغيرهما، وتعد المنسوجات الحريرية في صدارة أنواع النسيج الذي تنتجه الأندلس، ولا غرابة في ذلك مادامت الأندلس تعرف بتربية دود الحرير، على نطاق واسع لكثرة أشجار التوت فيها، وقد ذكر لنا الحميري[1]، أنه بجيان أزيد من ثلاثة آلاف قرية تربي دود القز.

ومن أهم المراكز التي اشتهرت بصناعة الأنسجة الحريرية "بجانة"[2]، التي ازدهرت خلال القرنين الثالث والرابع الهجري، و"قرطبة"[3]، حاضرة الأمويين، لقد كانت الصناعات النسيجية بالأندلس في معظم فتراتها متطورة، لا يكاد يضاهيها بلد في ذلك، وهذا لتوفر المواد اللازمة ومهارة الأندلسيين وحدقهم، وانفتاحهم على البلدان الأخرى، وإطلاعهم عما بها من صنائع، فغدت منسوجاتهم متنوعة بين ما هو محلي أندلسي محض لا تجد مثيله في بلد آخر، وبين ما هو مقلد لاتكاد تفرق بينه وبين الأصلي، يقول ابن سعيد عن المرية قال ابن فرج: "حدث فيها من صناعة الوشي والديباج على اختلاف أنواعه، ومن صناعة الخز وجميع ما يعمل من الحرير ما لم يبصر منه في المشرق ولا في بلاد النصارى"[4]، وإلى جانب الصناعة النسيجية، كان هناك صناعة أخرى أو ما يعرف بالدباغة " دباغة الجلود"، ومن الأماكن المشهورة بذلك، مدينة باجا "ولها خاصية في حسن دباغة الأدم"[5].

---

[1]- الحميري، الروض المعطار، صـ183.
[2]- المصدر السابق، صـ59.
[3]- ابن الخطيب، إعمال الأعلام، صـ40.
[4]- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلا المغرب، ج2، صـ194.
[5] القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، صـ223.

. صناعة العطور والعقاقير:

لقد عرفت الأندلس صناعة العطور والعقاقير الطبية المختلفة، بحكم وفرةالمواد التي تقوم عليها هذه الصناعة سواء منها النباتية، أو المعدنية، أو الحجرية، مثل الزعفران والعنبر والصندل، و المحلب وعود الألنجوج ومعدن الزاج، وبعض الأحجار؛ كحجر الطلق وحجر اليهود، وغيرها والدليل على قيام هذه الصناعة بالأندلس ، هو ما أورده جل المؤرخين والجغرافيين عن وجود أسواق العطارين في عدة مدن أندلسية، وقد ازدهرت هذه الصناعة أكثر بظهور الصيدلة والطب[1].

. صناعة الورق:

تعد صناعة الورق من الصناعات الرائدة في الأندلس حيث يعزى إلى المسلمين أنهم أول من أدخل الورق إلى أوروبا عن طريق الأندلس، وكانوا يستخدمون الرق قبل ذلك[2]. ويقول المقدسي عن أهل الأندلس أنهم " كانوا أصدق الناس في الوراقة"[3]. وشجع على ظهور مثل هذه الصناعة بالأندلس إنتاجها الوفير من القطن والكتان المستعملان في ذلك، وتعد مدينة شاطبة من أهم مناطق صِناعته إذ يذكر الإدريسي "إنه يعمل بمدينة شاطبة بالأندلس من الكاغد ، مالا يوجد له نظير بمعمور الأرض، وأنه يعم مشارق الأرض ومغاربها"[4]

. الصناعات الخشبية:

تنوعت الصناعات الخشبية بالأندلس نظراً لثروتها الغابية الكبيرة، وتحتل صناعة السفن المرتبة الأولى من بين باقي الصناعات الخشبية الأخرى، وهذا راجع إلى عوامل منها : وفرة

---

[1]- محمد عبد الرحمن مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، ط3، (بيروت: المنشورات عويدات، 1988-1989م)، صـ302.
[2]- دويدار، المجتمع الأندلسي، صـ355.
[3]- أبو عبدالله محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط1، ت.محمد أمين الصاوي، (لبنان: دار الكتب العلمية، 2003م)، صـ556.
[4]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، صـ556.

الأخشاب الجيدة مثل أخشاب الصنوبر"[1]؛ ولتعدد مراسيها التي كانت تتخذ بها دور الصناعة نظراً لطول سواحلها، وكذلك لحاجة الأندلس لأساطيل السفن المختلفة حربية وتجارية، ولهذا فإن صناعة السفن تعد من الصناعات القديمة التي كانت موجودة قبل الفتح الإسلامي، وبمجيء المسلمين ازدهرت هذه الصناعة وانشأوا الكثير من مراكز الصناعة فضلاً عن المراكز القديمة التي استغلوها أيضا، وكمثال نذكر عبد الرحمن الأوسط(206هـ، 238هـ)،الذي" أمر بإقامة دار صناعة بأشبيلية، وأنشأ المراكب"[2]، ولم تكن صناعة السفن هي الصناعة الوحيدة بالأندلس، بل كان هناك الكثير من الصناعات الخشبية الأخرى، فنجد فن النحت على الخشب، وتعد منابر المساجد ومقصوراتها أحسن دليل على ذلك، مثل:- مسجد قرطبة، والزهراء، واشبيلية. وأيضاً "صناعة العلب الخشبية المطعمة بالعاج، التي كانت تتخذ لحفظ قنينات العطور والمسك والعنبر الحلبي، وخاصة لزوجات الخلفاء والأمراء وجواريهم"[3].

. الصناعات المعدنية:

لقد تعددت الصناعات المعدنية بالأندلس بتعدد المعادن فيها وتنوعها، ويمكن التطرق إلى أهم هذه الصناعات:

1. صناعة التماثيل والتحف:

تتوفر في الأندلس معادن هامة، مثل الزئبق، والذهب، والفضة، والنحاس، والرصاص، والقصدير، ويتمتع أهلها بالمهارة والخبرة، لطرق استخدامها وخدمتها، وقد عاين الإدريسي بنفسه عملية استخراج الزئبق من مناجم قرطبة بطريقة تلم عن حدق ودراية أهل الأندلس بهذه الأشغال، فقال إن معدن الزئبق بها "يخدمه أزيد من ألف رجل"[4]، وليس هذا فحسب؛ فإن الأندلسيين

---

[1]- الحميري، الروض المعطار، صـ391.
[2]- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ج2، صـ82.
[3]- دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، صـ 252.
[4]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، صـ581.

يتمتعون أيضاً بالمهارة في تحويل هذه المواد الخام إلى تحف، وصنائع مختلفة تبهر من يراها، فقد أشاد معظم من كتب عن الأندلس من مؤرخين وجغرافيين في الحقب بروعة هذه المصنوعات، ووصفوها لنا بأوصاف لا أدلّ منها على براعة الأندلسيين وفنهم الراقي، ناهيك عن تلك الآثار التي وصلتنا منها لتشهد بنفسها عن نفسها، دون مبالغة أو تقصير، كما ازدهرت صناعة التحف المصنوعة من الفضة والبرنز، بهذا الخصوص يذكر لنا الدكتور حسين يوسف دوي دار تحفة فضية وصلت إلينا من عصر الخلافة، وهي عبارة عن " صندوق كاندرائيه خيروته، الذين يبدو أنّ القطلانيين سلبوه من قرطبة من بين ما سلبوه بعد تخريبها في القرن العاشر الميلادي، وهذا الصندوق عليه نقش كتابي يدل على أنه صنع بأمر الخليفة الحكم المستنصر لابنه هشام المؤيد"[1].

2. صناعة الأواني المنزلية:

ومن الأواني المنزلية التي كانت تصنع بالأندلس من معادن الشبوب والنحاس والكبريت الأصفر والأحمر، والرصاص والقصدير وغيرهما، نذكر القدور والسكاكين و الأمقاص المذهبة وكل ما يحتاج إليه في أي منزل، واشتهرت بهذه الصناعات مدينة مرسيه؛ والتي كانت يصنع بها حسب قول المقري "الآلات الصفر والحديد من السكاكين و الأمقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس"[2].

3. صناعة الأسلحة:

لقد أنتجت الأسلحة بالأندلس بكميات كبيرة في مختلف الفترات، وهذا نظراً للحاجة الدائمة إليها بحكم كثرة الحروب، سواء منها تلك التي خاضها المسلمون ضد النصارى؛ أو التي وقعت فيما بينهم، فضلا على أن معظم الدول الإسلامية التي حكمت الأندلس لم تتوقف عن الغزو، الأمر

[1] دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، صـ357.
[2] المقري، نفح الطيب، ج1، صـ202.

الذي استدعى الاهتمام بهذه الصناعة يقول ابن سعيد "وأما آلات الحرب من التراس، والرماح، والسروج، والألجم، والدروع والمغافر، فأكثر همم أهل الأندلس كانت مصروفة إلى هذا الشأن "[1].

3. صناعة الزجاج:.

عرفت الأندلس منذ العصر الأموي صناعة الزجاج بها، خاصة صناعة الأكواب والكؤوس، التي تعلق في ثريات المساجد والقصور، "وتعتقد إن هذه الصناعة قد أخذت تتقدم من عهد عبد الرحمن الأوسط، وخاصة بعد دخول زرياب إلى الأندلس وتفضيله استخدام الأكواب الزجاجية الصافية، لتقديم الماء والشراب، بدلا من أكواب الذهب والفضة والمعادن الأخرى"[2]، وقد اشتهرت بهذه الصناعة كل من مالقة و مرسيه و مريّة. يقول المقري "ويصنع بها أي مرسيه و مريّة و مالقة الزجاج الغريب والعجيب وفخار مزجج مذهب"[3].

ثالثاً: الصناعات الحجرية:

يعتبر الرخام رأس الصناعات الحجرية بالأندلس نظراً لكثرة انتشاره بها،وكما برع الأندلسيون في الصناعات السابقة؛ قد برعوا أيضا في صناعة الرخام وتحويله إلى مختلف الأشكال ذات الاستعمالات المتعددة، وهذا النوع من الصناعة انتشر في مناطق منها: المرية ،وملقه، ومرسيه، ومن بين الصناعات الرخامية "صناعة الأحواض، والبيلات، والألواح المنشورية الشكل، والشواهد اللازمة للمقابر"[4]، كما صنع بالأندلس أنواع من البلاط الذي تزين به الجدران وأرضيات القصور والمنازل، يقول المقري "ويصنع بالأندلس نوع من المفصص المعروف في المشرق بالفسيفساء،

---

[1] المقرئ نفح الطيب ، ج1، صـ202.
[2]- دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، صـ353.
[3]- المقري، نفح الطيب، ج1، صـ202.
[4]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، 1984م) صـ160.

ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزلجي يشبه المفصص، وهو ذو ألوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام الملون الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم كالشادروان وما يجري مجراه"[1].

ثالثاً: التطور العمراني:

الارتباط بين التطور العمراني والحالة الاقتصادية يعتبر من الأمور المسلم بها، فالعمارة تعتبر مرآة حقيقية للأوضاع السائدة في أي مجتمع من أهمهما الحالة الاقتصادية، فكلما أزدهر اقتصاد مجتمع انعكس ذلك على إمارته، مما جعل مقولة إن الاقتصاد مرآة المجتمع أمراً حقيقياً لدرجة كبيرة. كان استتباب الوضع السياسي في الأندلس عهد الإمارة بمثابة ضوء أخضر أعطى إشارة بدء عملية بناء الاقتصاد الأندلسي، فتحولت القوى المهدورة في النزاعات السياسية إلى المساهمة في زيادة الإنتاج وتحقيق الرخاء، الذي قام على الزراعة والتجارة والصناعة المتوفرة في ذلك الوقت.

وبدأ وضع أسس قيام النهضة الزراعية والتجارية، وأصبحت بلاد الأندلس كأنها بستان واحد متصل كثيرة المبنى والثمار، وإذا سافر المرء من مدينة إلى أخرى، سار في مناطق عامرة مأهولة تتخللها قرى كثيراً نظيفة ومبيضة الدور من الخارج، ولم يحتاج المسافر أن يحمل معه زاداً أو ماءاً[2]، وحيث ما وجد عرب أو بربر في منطقة أو أخرى أعطى هؤلاء المكان سيمات متميزة، كما حدث بالنسبة للسوريين بكورة البيرة، "غرناطة"[3] والمصريين في "باجا"[4]، والأردنيين في "رية"[5]،

---

[1]- المقري، نفح الطيب، صـ202.
[2]- الشكعة، مصطفى، تاريخ الأدب الأندلسي، (دار العلم للملايين سنة: 1975م)، صـ21.
[3]- الحموي، معجم البلدان، ج2، صـ195.
[4]- ابن حيان، المقتبس، صـ419.
[5]- الحميري، الروض المعطار، صـ279.

وأهل حمص في "اشبيليا"[1]، والبربر في المناطق المرتفعة التي تلائم طبيعتهم وتتشابه مع المناطق التي قدموا منها من قبل الفتح.

واستفاد الأندلسيون في نشاطهم الزراعي من القنوات، التي بناها الرومان، في القرن الأول الميلادي، لكنهم زادوا عليها وأصلحوا القديم منها، و حصنوا وشقوا قنوات جديدة وأتقن الأندليسون التعامل في فنون السقاية، وجلب المياه من مسافات بعيدة، ففي القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، توصل المهندسون المعماريون الأندلسيون إلى ابتكار أعظم الابتكارات العربية في مجال الهندسية، تجسد هذا الابتكار في نظام القنوات الجوفية، الذي ساعد إلى إيصال المياه إلى مدينة مدريد، فقد حفرت آبار كثيرة، ووضع في قعرها قنوات تمتد حتى تصل مدريد، وهي تنحدر من الأعلى إلى الأسفل، وتتألف القنوات الجوفية من قناة ضخمة هي (الأم)، ومنها تفرع في داخل المدينة شبكة معقدة من قنوات صغيرة فرعية، وفي كل عقده يجتمع عندها عدد من تلك الفروع مقام خزان أو مستودع، وبهذه الخزانات وزعت المياه على جميع الناس بالتساوي[2].

رغم كل هذه الحروب التي خاضها بني أمية في الأندلس، فقد كان عصرها عصر رخاءاً ويسر استقرت فيه الأوضاع الاقتصادية، وبدت الأندلس غنية بمواردها وأصبح دخل الأندلس عشرون مليون من الذهب[3]، ومن خلال هذا الدخل قام بأعمال البناء والعمران، فعمل على إنشاء مدينة الزهراء واستمر الوضع الاقتصادي بالتطور، حتى عهد المنصور بن أبي عامر، ومن المدن التي بنيت وكانت دليلاً ساطعا على ازدهار الاقتصاد العربي وبخاصة التجارة هي المرية، التي أصبحت من أهم الموانئ الأوروبية على شواطئ البحر المتوسط،في مجال التصدير والاستيراد[4].

---

[1]- الحميري ، الروض المعطار ، صـ16-17.

[2] أحمد(علي)- زغرور (إبراهيم)، مظاهر الحضارة العربية في العصور الوسطى، (سوريا: جامعة دمشق 2005-2006م) صـ223، صـ279.

[3] Dozy. history of the Muslims in spain London-1913.

[4] أحمد(علي) زغرور (ابراهيم) مظاهر الحضارة العربية، صـ207.

فالأندلس في عصر الإمارة والخلافة دائمة الرواج التجاري والصناعي، على الرغم من فترات الاضطراب التي تعتريها من حين إلى آخر، نتيجة للازدهار الاقتصادي الذي حققته الأندلس، بلغ النمو الحضاري ذروته وتجلى ذلك في اتساع مختلف المدن الأندلسية حجماً وكثافةً ونشاطاً، بينما كانت سائر بلدان أوروبا تعيش في ظلمة، تمتعت الأندلس بمدن نظيفة، وشوارع واسعة، وكان في ميسور قرطبة وحدها أن تعتز بنصف مليون من السكان, وسبعمائة مسجد وثلاثمائة حمام عمومي، وسبعين مكتبة عامة وعدد كبير من دكاكين الوراقين، كما تم تأسيس مدن جديدة؛ كالمرية التي أصبحت قاعدة للأسطول البحري الأندلسي، احتضنت هذه الحواضر من الدروب الحرفية والأسواق التجارية والفنادق والحمامات والمطاعم ومختلف أنواع الخدمات ما يفسح عن حدوث نهضة صناعية وتجارية، نموذجية كما ساهمت عملية إصلاح الطرق وشق مسالك جديدة، وإقامة الجسور وإصلاح ما تهدم منها في إرساء بنية تحتية متينة، مركزها قرطبة وشراييها تغطي مجموع البلاد[1].

[1]- محمد عبد العزيز مرزوق، قصة الفن الإسلامي، ط1، (عمان: دار المسرّة 1419هـ/1998م)، صـ62.

الفصل الثاني

(الموانئ والمراكز والطرق التجارية في الأندلس)

1. الموانئ والمراكز التجارية.
2. الطرق البريّة.
3. الطرق النهريّة.
4. الطرق البحريّة.

توطئة:

لقد لجأت الأندلس إلى تأمين حاجاتها من المنتجات القليلة أو المفقودة بها، إلى الاستيراد من الخارج وتصدير الفائض من انتاجها إلى مختلف البلدان القريبة أو البعيدة عن طريق التجار الرحل المتجولين براً أو بحراً وكانت هذه المواد المستوردة تشكل أهمية مالية كبيرة بالنسبة للتجار إذ تكاليفها باهظة وهي قليلة ومن يخاطر بجلبها فهم تجار قليلون من ذوي اليسر تتوفر لديهم رؤوس الأموال الكافية لشراء ونقل السلع وهذا ما يؤكده ابن خلدون: ((والتاجر البسيط بالتجارة لا ينقل من السلع إلا ما تعم الحاجة إليه من الغني والفقير والسلطان والسوقة إذ في ذلك نفاق سلعته وينبغي أن ينقل السلع المحتاج إليها وهي الوسط من كل صنف ففيه نفاق سلعته وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة أو شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة للتجار وأعظم أرباح واكفل بحوالة الأسواق لأن السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد مكانها أو شدة الغرر في طرقها فيقل حاملوها ويعز جودها وإذا قلت وعزت غلت أثمانها[1].

وسوف نتطرق فيما يلي على أهم الموانئ والطرق التجارية بالأندلس.

1. الموانئ والمراكز التجارية:

تتميز الأندلس بمميزات جغرافية هامة ومن ضمن هذه المميزات امتلاكها لشريط ساحلي طويل يشرف من الناحية الشرقية والجنوبية على البحر المتوسط، أما من النّاحية الغربية والجنوبيّة الغربية على مياه المحيط الأطلسي[2]، فانتشرت على هذا السّاحل الأندلسي مجموعة من الموانئ تتفاوت أهميتها التّجارية من ميناء إلى آخر، وكان لها تأثيرها الإيجابي الواضح على النّشاط التّجاري بالأندلس، وذلك لما توفره هذه المراكز والموانئ من مرافق ضروريّة للتّجار في الأندلس،

[1] - ابن خلدون، المقدمة ، ص496 - 497

[2]- حسين مؤنس، فجر الإسلام، صـ592.

والوافدين عليها[1]، وقد كان لمسلمي الأندلس من أول الأمر عناية بالموانئ؛ نظراً لأهمية الصلات مع العدوة الأفريقية، وكانوا يسمون الميناء "مرسى" ويلاحظ أن أهل المغرب والأندلس دون غيرهم من أهل الدول الإسلامية توسعوا في استعمال لفظ المرسى، مقابلاً للميناء وخاصة فيما يتصل بما أنشأه المسلمون منها[2].

وينشأ الميناء بشكل تدريجي حيث يكون في أول الأمر مجرد مرسى للسّفن ثم يتطور إلى أن يُصبح مدينة، وكمثال عن هذا نذكر ميناء المرية الذي اتخذه العرب أول الأمر كرباط ثم بنيت بها المحارس، وباتجاه الناس نحوه للمرابطة والسكن تحول مع الوقت لمدينة كبيرة عامرة، وإلى ميناء هو من أكبر وأشهر موانئ الأندلس[3]. والموانئ في الأندلس نوعان: موانئ بحرية وأخرى نهرية. كما انقسم دورها إلى شقين:- الأول يتمثل في الجانب العسكري لحماية البلاد من غارات أجنبية مثل:- غارات النورمانديين والثاني: في الجانب الاقتصادي متمثلا في تنشيط الحركة التجارية؛ وتحصيل المكوس على السلع الواردة إلى الميناء والصادرة عنه لفائدة الخزينة، يقول ابن حوقل: "وما يقبض من الأموال الوافرة على المراكب الواردة إليهم، والصادرة عنهم"[4]. ومن بين أهم الموانئ التجارية التي عرفتها الأندلس ما يلي:

-ميناء قرطبة:

تعتبر قرطبة المركز الرئيسي للتجارة في الأندلس، باعتبارها عاصمة للبلاد، وكذلك للكثافة السكانية الكبيرة بها[5]. فهي أكبر مستهلك للسلع سواء الكمالية أو غيرها، باعتبارها مركزاً للطبقة الثرية في الأندلس، وكذلك هي من بين أقدم المدن الأندلسية تأسيساً، فهي تعود إلى ما قبل الفترة

[1]- السيد عبد العزيز مؤنس، في تاريخ وحضارة الأندلس، صـ32.
[2]- المصدر السابق، فجر الإسلام، صـ592.
[3]- الحميري، الروض المعطار، صـ537.
[4]- أبو القاسم ابن حوقل، صورة الأرض، (لبنان: منشورات مكتبة دار الحياة 1996م)، صـ104.
[5]- سالم السيد عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الأندلس، المرجع السابق، صـ32.

الإسلامية[1]، فكان يقصدها التجار بمختلف البضائع من كل الجهات، وزاد في أهمية المدينة مرور الوادي الكبير بوسطها، فكان هذا الوادي هو المعبر الطبيعي من جنوب قرطبة إلى جهاتها الأخرى، وكانت هناك المراسي الكثيرة لنقل مختلف المتاجر والمسافرين على طول الوادي[2]، وقد ساعد هذا في نشاط الحركة التجارية بنقل البضائع وتوزيع كافة السلع والبضائع سواءاً الوافدة أوالصادرة.

ـ ميناء المرية:

أنشأت هذه المدينة لأغراض تجارية اقتصادية بالإضافة إلى الهدف العسكري الدفاعي، وهي من المدن المحدثة التي أسسها الخليفة عبد الرحمن الناصر لتكون منفذا اقتصادياً تتنفس الأندلس من خلاله[3]، و رغم مالها من وعورة المسالك وصعوبة المواصلات وقلة المياه[4]. يعتبر ميناء المرية أكبر موانئ الأندلس البحرية وأكثرها أهمية نظراً لحجم المبادلات التجارية، وكثافة المواصلات البحرية التي كانت تتم في هذا الميناء، فقد ربط ميناء المرية الأندلس بمختلف جهات العالم، سواء تعلق الأمر ببلاد المسلمين أو ببلاد النصارى، حيث كانت " إليها تقصد مراكب الطريق من الإسكندرية والشام كله"[5]، وقد اعتبر هذا الميناء بمثابة بوابة رئيسية تنفتح على بلاد المشرق، وزادت مكانة الميناء أكثر في القرن الرابع الهجري، حتى صارت المرية من "أشهر مراسي الأندلس وأعمرها"[6]، ومما زاد الميناء أهمية هو امتلاك المرية لخليج شديد الاتساع والعمق يتسع لعدد كبير من السفن، ويتميز هذا الخليج بهدوء مياهه وقلة أمواجه[7]، وكذلك قد تولى هذه المدينة

---

[1]- سالم السيد عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الأندلس، صـ29.
[2]- محمد عبد الوهاب خلاق، قرطبة في القرن الحادي عشر الميلادي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، (الدار التونسية للنشر: تونس، 1984)، صـ34.
[3]- الحميري، الروض المعطار، صـ183.
[4]- سالم، في تاريخ وحضارة الأندلس، صـ16.
[5]- أبو عبدالله الشريف الأندلسي، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ت. إسماعيل العربي (الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م)، صـ562.
[6]- الحميري، الروض المعطار، صـ261.
[7]- سالم، تاريخ المدينة المرية، صـ42.

حكّام عرفوا بحسن السيرة والحزم، فكان عبد الرازق بن عيسى[1] متوليها متشدداً مع الأشرار والمبالغة في عقوبة من أظفر به منهم، وكان هذا أيضا سببا في وفود الناس إليها من الآفاق[2]، وكان مرسى المرية مقسما إلى قسمين:- قسم للعِدَد والآلات الحربية، والقسم الآخر للمراكب التجارية[3]. وكان بالمرية دار صناعة تنتج " أعدادا كبيرة من السفن وفي هذه الدار استقرت العدة والآلات اللازمة للسفن و ما يقوم به الأسطول"[4]، وظل ميناء المرية محافظاً على أهميته التجارية طول فترة العهد الأموي.

. ميناء اشبيلية:

تعتبر اشبيلية من أهم المراكز التجارية بالأندلس حيث موقعها القريب من البحر المتوسط[5] ووقوعها بغرب قرطبة؛ أهلّها لتكون بوابة اقتصادية، لعاصمة الأندلس بجنوبها الغربي، فكما يقول العذري: "أنها قد حازت البر بما استقبلته جهاتها والبحر بخواص منافعه"[6]، هذا بالإضافة إلى كونها مركزا هاما لصناعة السفن[7]، ومن هذا الميناء انطلقت مجموعة من الخطوط البحرية شرقا وغربا، تربط اشبيلية بأبعد الآفاق لأجل التجارة، وقد كانت" جل تجارتهم بالزيت، يتجهز به منها إلى أقصى المشارق والمغارب"[8]، يقول المقري عن ذلك: " إنها مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة، وعليه جسر مربوط بالسفن"[9].

---

[1]- أبو محمد الأزدي الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، تحقيق: روحيّة عبد الرحمن السويقي، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997)،صـ216.

[2]- ابن حيان القرطبي، المقتبس في أنباء أهل الأندلس، صـ88.

[3]- سامية مسعد مصطفى، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية،ط1، (مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000م)، صـ129.

[4]- سالم، تاريخ مدينة المرية، صـ42.

[5]- القلقشندي، صبح الأعشى في كتابه الإنشاء، ج5، صـ225.

[6]- الدلائي، نصوص عن الأندلس، صـ96.

[7]- حسين مؤنس، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ط2، (القاهرة في الدار المصرية اللبنانية، 1993م)، صـ95.

[8]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ541.

[9]- المقري: نفح الطيب، ج1، صـ158-159.

. ميناء مالقة:

مالقة هي من المدن القديمة بالأندلس بالساحل الشرقي[1]، وكانت التجارة البحرية قديمة في هذه المدينة، إذ استقر بها جماعة من الفينيقيين الذين اشتهروا بنشاطهم التجاري، في منطقة حوض البحر المتوسط [2]، وقد ازدادت أهمية هذه المدينة منذ بداية القرن (4هـ/10م) فقد جعل منها عبد الرحمن الناصر إحدى القواعد البحرية لأسطوله، لمواجهة الخطر الفاطمي المتزايد[3]. ويعد ميناء مالقة من ضمن أهم الموانئ الأندلسية التي ساهمت في تنشيط الحركة التجارية، مع عدة بلدان المشرق وخاصة مصر، وبلاد الشام والعراق والهند.

وهذا راجع إلى الموقع الجغرافي الهام، الذي تحتله مالقة في جنوب الأندلس، وقربها من بر العدوة التي لا يفصلها عنها سوى بحر الزقاق، فتضاعفت الحركة التجارية، سواء بالنسبة للصادرات أو الواردات، التي تربط بلدان الغرب الإسلامي بالأندلس عن طريق ميناء مالقة، والذي زاد الميناء أهمية هو دار الصناعة، التي أقيمت فيه لإنشاء مختلف أنواع المراكب[4].

. ميناء غرناطة:

هي من أهم موانئ الأندلس التجارية، وهي كبيرة ومستديرة الشكل، مما ساعد على رسو السفن بها لقلة الرياح، فيقول العمري" إنها قليلة مهب الريح، لا يجري بها الريح إلا نادراً، لاكتناف الجبال إياها"[5].

---

[1]- كمال السيد أبو مصطفى، مالقة الإسلامية في عصر الدويلات والطوائف، (ق5هـ/11م)، (مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1993م)، صـ5.

[2]- ابن فضل العمري، وصف إفريقيا والمغرب والأندلس، مقتضب من كتاب مسالك الأمصار، نشر وتعليق حسن حسني عبدالوهاب، ب.ت، (تونس مطبعة النهضة)

[3]- سالم، المرية الإسلامية، صـ36.

[4]- القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، صـ219.

[5]- العمري، وطن إفريقيا المغرب والأندلس، صـ34-35.

. ميناء المنكب:

وهي مدينة على ساحل البحر المتوسط، وهي من أعمال ألبيرة، وقريبة من غرناطة[1]، وقد اكتسبت هذه المدينة أهمية اقتصادية وتجارية كبيرة، لأنها أصبحت دار صناعة لإنشاء السفن[2]، وكانت بالإضافة إلى التجارة عبارة عن ميناء لنقل المسافرين باتجاه المغرب الأوسط، وباقي بلاد المغرب[3]، فكانت هذه المدينة من الموانئ الهامة التي ساهمت في نشاط الحركة التجارية.

. ميناء دانية:

تحتل مدينة دانية هي الأخرى موقعا استراتيجيا يشرف على البحر المتوسط، الأمر الذي زاد من أهمية مينائها الذي كان له دور كبير في تنشيط التجارة الخارجية، وربط الأندلس بالكثير من البلدان الخارجية القريبة كبلدان الغرب الإسلامي، أو البعيدة مثل بلدان المشرق، وهذا عبر خطوط بحرية ما فتأت السفن التجارية تسلكها ذهابا وإيابا، تحمل من الأندلس منتجاتها المحلية نحو مختلف الأقطار، كما تحمل إليها منتجات البلدان الأخرى، وهو ما عبّر عنه الحميري حين قال : " بأنها مدينة على البحر حسنة، ولها سور من ناحية الشرق في داخل البحر، ولها قصبة منيعة جداً، والسفن واردة عليها صادرة عنها"[4]، ويضيف ابن غالب "أن مرساها من أعجب المراسي"[5]، قد جعلها الخليفة الناصر أحد القواعد الهامة للأسطول الأندلسي، فمنها يخرج الأسطول للغزو والتجارة، و بها تصنع أكثر المراكب البحرية لأنها دار إنشاء[6]. فكانت هذه المدينة آمنة من الاعتداءات الخارجية لتمركز الأسطول العسكري بها، بل أصبحت مدينة للهجوم على المناطق

---

[1]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ291.
[2]- العمري، وصف إفريقيا والمغرب والأندلس، صـ47.
[3]- القلصادي أبي حسن علي الأندلسي، رحلة القلصادي، ت.أبو الأجفان محمد، (الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1985م)، صـ94-95.
[4]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ282.
[5]- الحميري، الروض المعطار، صـ285.
[6]- سالم، تاريخ مدينة المرية، صـ35-36.

الأخرى، وتشن منها الغارات على السفن الأوروبية[1]، ولهذا أصبحت قِبلة التجار، فمنها كانت تخرج السفن إلى المشرق في العهد الأموي"[2].

ميناء طرطوشة:

هي بشرق الأندلس، كانت إحدى المراكز التجارية البحرية الهامة، وقد أهلّها موقعها لتحتل مكانة مرموقة بين المدن الأندلسية، فكما يقول ابن غالب: "إنها قريبة من البحر، وهي شرق من بلنسيه وشرق من قرطبة"[3]،وهي بذلك إحدى بوابات السلع إلى هذه المدن وغيرها من المدن الداخلية الأندلسية.

وقد ازدادت أهمية المدينة خلال فترة الخلافة وخاصة مع عبد الرحمن الناصر، إذا أصبحت أحد المدن التي تحط بها الأساطيل الأندلسية[4]، سواء التجارية أو العسكرية، وبذلك أصبحت مدينة آمنه وقبلة لمختلف التجار، سواء من داخل الأندلس أومن خارجها، فنشطت بها التجارة البحرية[5]، وأصبحت باباً من أبواب البحر يسلكه التجار في كل جهة[6].

. ميناء الجزيرة الخضراء:

تكتسي هذه المدينة الساحلية أهمية تجارية كبيرة، إذ تطل على مضيق جبل طارق يقول عنها العذري: "إنها توسطت مدن الساحل وهي جامعة للبر و البحر"[7].

وترجع أهمية هذا الميناء إلى أهمية موقع الجزيرة الخضراء، من ناحية قربها الكبير من بر العدوة فهي تقابل مدينة سبته، مما جعل ميناءها يشهد حركة تجارية كثيفة، وقد عُدّ " من أحسن

---

[1]- خوان بيرنيط، هل هناك أصل عرب اسباني في الخرائط البحرية، تعريب،أحمد مختار العبادي(صحيفة المهدي المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، عدد1، سنة 1953م)، صـ14.
[2]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ282.
[3]- ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، ج1، صـ285.
[4]- سالم، المرية الإسلامية، صـ36-37.
[5]- خوان بيرنيط، هل هناك أصل عربي اسباني في الخرائط البحرية،صـ286.
[6]- ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، ج1، صـ286.
[7]- ابن الدّلائي: نصوص عن الأندلس، صـ117.

المراسي للجواز"[1]. ويصف الحميري بقوله "ومرسى الجزيرة مشتى مأمون، وهو أيسر المراسي للجواز وأقربها من بر العدوة، ويحاذيه مرسى مدينة سبته"[2]، وقد أسس الخليفة الناصر بهذه المدينة دار لصناعة السفن[3]، وتعد هذه الموانئ التي ذكرناها أهم الموانئ الأندلسية التي ساهمت في تنشيط التجارة بدرجات متفاوتة.

كانت أغلب الطرق الرئيسية بالأندلس تتبع تقريباً التقسيم الروماني القديم[4] وعند هذا يحدثنا المغربي: " ومنها الرهيش المشهور بالأندلس فقال في بعض أخبار رومية أنه لما ولي يولياس قيصر ابتداء بتوزيع الأرض وتكسيرها إلى أن أقبل على الأندلس وركز قضيته شرقي قرطبة ثم ابتدأها من باب القنطرة قبلي قرطبة إلى شقندة[5] إلى إيستجة إلى قرمونة[6] إلى البحر وأقام على كل ميل سارية نقش عليها اسمه"[7].

فكان للرومان اهتمام كبير بتشييد الطرق وبنائها وورثت الأندلس عنهم هذه الطرق فيما بعد والظاهر أن الأندلسيين قاموا بترميمها نظراً لطول الفترة بين المرحلة الرومانية والقرن الثالث والرابع الهجريين، كما قاموا باستحداث طرق جديدة وهذا لأن يولياس قيصر أقام هذه الطرق على أساس أن طليطلة هي العاصمة للأندلس لكن بعد ذلك أصبحت العاصمة هي قرطبة فكان طليطلة مركزاً لجميع بلاد الأندلس[8].

أما قرطبة حسبت ابن غالب فأصبحت قاعدة الأندلس وأم المدائن بحيث تجبى إليها ثمرات على جهة لكونها واسطة من الكور[9].

---

[1]- أبو الفداء، تقويم البلدان، صـ173.
[2]- الحميري، الروض المعطار، صـ233-224.
[3]- سالم، المرية الإسلامية، صـ36-37.
[4] - محمد أحمد أبوالفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي ، دراسة في تاريخ السياسي والحضاري (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية) 1996، ص279.
[5] - الحمري الروض المعاطار في خير الأقطار، ص124.
[6] - المصدر السابق - ص 14 -15.
[7] - المغربي نفح الطيب ج1 ، ص203.
[8] - البكري المسالك والمالك، ج1، ص379.
[9] -ابن غالب قطعة من كتاب فرقة الانفس، ص296.

وتكمن سهولة المواصلات التجارية بالأندلس لكون مدنها تقترب من بعضها فلا يجد التاجر عناء السفر، وبذلك يسهل نقل السلع المختلفة ويعطينا المغربي مثالاً على ذلك فيقول: ((وربما لقى المسافر فيها – اشبيليا – في اليوم الواحد أربع مدائن ومن القرى والمعاقل ما لا يحصى))[1].

ويؤكد الزهري: ((أن بلاد الأندلس صغيرة فيما ثمانون مدينة من القواعد الكبار ، ومثلها أزيد من الصغار، ليس في الأرض صقع أصغر من هذا الصقع، لا يجد المسافر ثلاث أو أربع مدن قريبة بعضها من بعض إلا في الأندلس[2].

ومن بركة الأندلس وسهولة المواصلات بها على التجار، أنه لا يمشي الإنسان فيها فرس خيل دون ماء ولا يمشي ثلاث فراسخ إلا ووجد فيها الحوانيت لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة على طول سفره[3].

وقد زاد انتشار المدن والقرى والحصون خاصة في بداية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي مما زاد في تدعيم شبكة المواصلات فظهرت عدة مدن أيام عبدالرحمن القاهري[4] يقول الظبي: ((أنّ فيها سنة 404 هـ – 1013م بنية شنتمريا))[5].

وقام عبدالرحمن الناصر ببناء الحصون منها حصن دكوان[6] وكان السبب في إقامته مواجهة عمروبن حقصون وأولاده الذين أعلنوا عصيانهم لحكومة قرطبة[7].

فبغض النظر عن الهدف الأول الذي أسست من أجله هذه الحصون والمدن من زيادة في السكان لأجل توفير الأمن عن طريق الحاميات العسكرية أو المراكز التجارية إلا أنها خدمة التجارة بشكل كبير، فالنمو الديمغرافي وكذا التطور السياسي والاقتصادي الذي عرفته الأندلس خاصة خلال

---

[1] - المقرى ، نفح الطيب ، ج1 ، ص 226

[2] - الزهري: الجغرافيا، ص80.

[3] - المصدر السابق ، ص80.

[4] - الحامدي جودة المفتش في ذكر ولاة الأندلس،ص 18.

[5] - الحميري الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص144 - 155.

[6] - ابن الخطيب معيار الأختيار ، ص128.

[7] - المصدر السابق ،ص 112.

القرن 4 الهجري / 10 الميلادي، فتح عنه شبكة من المسالك التجارية[1] فكّت العزلة عن مختلف المدن وكذلك التحركات المختلفة للتجار ساهمت في ظهور المسالك الجديدة بالأندلس.

أما عن هذه المسالك والمسافات فيذكر المقدس أن الطريق من قرطبة إلى اشبيليا ثلاث مراحل[2]، ومن قرطبة إلى طليطلة ستة أيام ومنها إلى وادي الحجارة ستة أيام[3] ومن قرطبة إلى سامورا أربعة أيام ومنها إلى قوريا اثنا عشر مرحلة ثم إلى ماردة أربعة أيام ومن قوريا إلى باجا ستة أيام[4] ومن باجا إلى آخر مدينة شنتوين ستة عشر يوماً ومنها إلى فحص البلوط يومان[5]ثم إلى ليلة أربعة أيام ومنها إلى قرموتة أربعة أيام بين باجا واشبيليا نحو القرب على طريق ماردة ومن قرموتة إلى اشبيليا مرحلتان ، ومن استجة إلى مورو مرحلة [6].

ثم إلى شذونة 20 يومان ، وإلى جبل طارق ثلاثة أيام(21) ومن اشجة إلى مالقة سبعة أيام، وبين استجة ومرشانة عشرين ميلاً ، وكذلك بينها وبين قرمونة وإلى مالقة بطريق الشرق إلى أرجدونة ثلاث مراحل ومنها إلى بجانة ست مراحل ومنها إلى مرسية سبع مراحل ، ومنها إلى بلنسية عشرون يوماً وإلى طرطوشة ست مراحل[7] بالإضافة إلى هذه الطرق الرئيسية هناك طرق ثانوية فرعية منها طريق يتفرع من اشبيليا ليذهب إلى شلب[8] كما كان هناك طريق يمر من جبان إلى حصن القبراق، ثم إلى قبرة ثم إلى استجة ثم أشدنة ثم شلير ثم إلى حصن أركش ثم إلى قرية القشمة ثم إلى جزيرة طريف[9].

---

[1] - الحبيب الجنجاني، دراسات مغربية ، ص76.
[2] - الحميري،الروض المعطار، ص169.
[3] - المقدس، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص198.
[4] - الحميري الروض المعطار ، ص36.
[5] - المصدر السابق، ص 142 ص 143.
[6] - المصدر السابق ، ص128.
[7] - المصدر السابق ، ص198.
[8] - أبوالفضل ، شراف الأندلس في العصر الإسلامي، ص74.
[9] - الحميري الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 177.

2. الطرق البرية:

لقد ارتبطت الأندلس تجارياً ببعض بلدان العالم الخارجي، وكان الاتصال بينها وبين هذه البلدان يتم عبر عدة طرق؛ منها الطرق البرية التي ربطت الأندلس بالقارة الأوروبية منذ أقدم العصور. و في العصر الإسلامي ازدهرت التجارة الأندلسية الخارجية بشكل عام، وصارت هذه الطرق البرية بمثابة المحرك الرئيسي لتجارة الأندلس الصادرة منها والواردة.

وبما أننا نحاول تغطية فترة زمنية تقارب ثلاثة قرون بدراستنا فإنها لاشك مدة طويلة ومليئة بالأحداث السياسية التي ظلت تتناوب بين السلم والحرب، والأمن والخوف والفرقة والوفاق، وهو الأمر الذي كان له تأثير مباشر في درجة استمال الطرق التجارية فتزداد الحركة التجارية بها في فترات الأمن والهدنة وتتقلص في فترات الحرب والعداء السياسي، مثلما كان يحدث بين الأندلس وأسبانيا في الشمال أو بيها وبين بلاد الفرنجة أو حتى بينها وبين الفاطميين في أفريقيا والتوضيح لموضوع الطرق البرية في التجارة الخارجية للأندلس أكثر سنتناولها في النقاط التالية:-

أ. الطرق البرية بين الأندلس واسبانيا النصرانية:.

لقد ربطت الأندلس وشمال اسبانيا المسيحية التي ظلت خاضعة لحكم النصارى عدة طرق تجارية من ناحية البر فمن قرطبة بني أمية التي كانت من أكبر الحواضر الإسلامية في المغرب، تنطلق ثلاث طرق برية نحو الشمال[1]، الطريق الأول يمر بطليطلة ووادي الحجارة، عند وصوله لحوض نهر إبرو بالشمال الشرقي لشبه الجزيرة يتفرع إلى طريقين: أحدهما يسير بمحاذة النهر مارا بقلهرة ونخرة حتى بمبلونة عاصمة نبرة، ثم يسير إلى ألبه والقلاع[2]، وأشتوريس بينما يسير الطريق

[1]- عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية، صـ477.
[2]- الحميري، الروض المعطار، صـ483.

الثاني المتفرع عن طريق الرئيسي القادم من قرطبة، ويسير جنوبا فيعبر كل من سرقسطة ولاردة[1]، ليتصل بإمارة برشلونة.

ويبدأ الطريق الثاني من قرطبة فيمر على التوالي بالمعدن ثم قورية، ثم سلمنقة و سموره، ليتوغل أخيرا بأرض جليقية أما الطريق الثالث؛ فهو يبدأ من قرطبة لكنه "ينزل جنوبا فيمر بغرناطة، ثم يصعد شرقا بشمال فيمر بمرسيه فبلنسية فطرطوشة فلاردة في أقصى شمال سرقسطة"[2].

ب . الطرق البرية بين الأندلس وبعض بلدان أوروبا:.

لقد كان يربط الأندلس ببلدان أوروبا مثل فرنسا وايطاليا وألمانيا وغيرها الطرق البرية التقليدية، ونقصد بها: تلك الطرق العابرة لجبال البرانس(البرت) في الشمال وتسمى بالأبواب حفرتها قديما"ملكة اليونان ليسهل دخولها إلى الأندلس"[3]، وتتفرع هذه الطرق فيما وراء جبال البرانس في اتجاهات مختلفة تبلغ أفاقا بعيدة من ذلك القطر، فهناك دلائل على وصول التجار الأندلسيين إلى البلاد الأسكندنافيه (النورمان)، وعبر بلاد الفرنجة وكذلك إلى بلاد الصقالبة والبلغار[4].

فقد كان تجار اسبانيا عامة وخاصة منهم اليهود، يقصدون بلاد الفرنجة لتجارتهم مخترقين سلسلة جبال البرانس عبر عدة ممرات مثل: "ممر باب الشزوي وكانت القوافل التجارية تعبر هذه الممرات أو الأبواب إلى موانئ جنوب بلاد الغال، بحيث كانت موانئها من أهم المراكز التجارية، في بلاد الفرنجة ويدخلون ببضائعهم إلى عدة أسواق لأجل تسويقها، أولاقتناء بضائع من تلك البلاد يعودون بها إلى بلادهم، ولعل سوق دنيس القريب من باريس يعد من أشهر الأسواق التي كان يقصدها التجار من الأندلس، ومن مختلف البلدان الأخرى حتى سمي هذا السوق بسوق الشعب[5]؛

---

[1]- الحميري ، الروض المعطار ، صـ507.

[2]- عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الاسلامية، صـ477.

[3]- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ط1- ت.إسماعيل العربي، (منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1970م)، صـ180.

[4]- أحمد الطاهري، دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس عصري الخلافة والطوائف، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1993م)، صـ122-125.

[5]- منى حسن محمود، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، صـ213.

نظرا لكثرة وارديه من مختلف الجهات وقد تزايد استعمال هذه الطرق المؤدية إلى الأرض الكبيرة، وما يليها ونعني بها بلاد " الصقالبة والبلغار "[1].

ج . الطرق البرية ببلاد المغرب والمشرق:.

إن أشهر طريق بري كانت تسلكه التجارة الأندلسية وتحديدا من القرن الثالث الهجري، هو الطريق الذي يمر بعد مضيق جبل طارق، ومن طنجة إلى القيروان عبر المغرب الأوسط مجتازاً بلاد المغرب الأقصى، فالأوسط فالأدنى ماراً ببعض المدن ذات المكانة التجارية الهامة مثل: سبتة وطنجة و سجلماسة وتلمسان وتاهرت إلى المهدية والقيروان، ليصل إلى مصر ثم يتجه إلى الشام (الرملة ودمشق) ثم العراق (بغداد، الكوفة، البصرة)، ثم فارس الأهواز ثم كرمان والهند والصين[2]، فقد كان تجار الأندلس ينتقلون إلى المشرق عبر مدن المغرب الأقصى والأوسط، فإفريقيا فمصر، ومنها إلى حلب ثم إلى أعالي العراق وبغداد، ومنها تتفرع المسالك إلى حران شمالا والبصرة جنوبا، وإلى مدن أخرى من العراق، حيث كانت العراق مفترقا للمواصلات ومسالك التجار نحو تستر[3]، وبلاد الديلم[4]، وأرض فارس و خرسان[5]، ومنها إلى نيسابور[6]، التي هي من بلدان خراسان وقد كانت محطاً للتجار من سائر أصقاع العالم.

وهناك محاور أخرى للقوافل القادمة عبر أرض المغرب الأقصى، فتتجه هذه المحاور شرقا على أرض الحبشة وبلاد النوبة، عبر ثلاث مسالك أولها من مصر ووادي النيل، وثانيها عبر الصحراء ومن وارقلان[7]، وثالثها عبر سجلماسة[8] من جهة الغرب[9]. وقد شهد عصر بني أمية رحلات

---

[1]- مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ط1، ت.يوسف الهادي (الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999م) صـ138-139.
[2]- حسين جمعة حسين، تاريخ الأندلس الاسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج3، ط14، (دار الجبل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م)، صـ335.
[3]- الحميري، الروض المعطار، صـ140.
[4]- مجهول، حدود العالم، صـ109.
[5]- الحموي،معجم البلدان، ج2، صـ350.
[6]- أحمد الطاهري، دراسات ومباحث، صـ117.
[7]- عبد محمد سواري، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب الاسلامي من القرن الثاني الهجري، د.ط، د.ت، (جامعة البصرة، كلية التربية)، صـ331.
[8]- مجهول، حدود العالم، صـ134.
[9]- الطاهري، دراسات ومباحث، صـ122.

تجارية، عبر بلاد المغرب الأقصى إلى الصحراء وبلاد السودان وصولا إلى غانة، أما الطرق التي ربطت الأندلس بالمغرب الأوسط، خاصة في ظل تلك العلاقات الدبلوماسية الطيبة التي جمعتها بدولة بني رستم في تاهرت، التي ينطلق منها عبر البر يتجه "إلى طنجة وسبته ومن ثم إلى الأندلس عبر مضيق جبل طارق"[1].

3. الطرق النهرية:

إنّ كثرة الأنهار والأودية بالأندلس كان له الأثر الكبير في سير التجارة فقد ساهمت هذه المجاري في انتعاش التجارة لتسهيل المواصلات ونقل مختلف السلع والمتاجر سواء الصادرة أو الواردة فخفضت من تكلفة نقلها وتوزيعها إلى داخل البلاد أو تصديرها إلى مختلف المناطق كما ساهمت في سرعة إيصال البضائع وبكميات كبيرة إلى باقي المدن والموانئ ليتم تصديرها إلى خارج الأندلس ومن أهم هذه الأنهار ذات الأهمية الكبيرة في المواصلات التجارية الاندلسية نذكر منها على سبيل الذكر، الوادي الكبير الذي يربط بين الكثير من المدن الأندلسية فهو يخرج من جبل مدينة شقورة[2]، ثم يمر بأبدة ثم بياسة[3] ثم إلى قرطبة ثم يمر باشبيليا ثم إلى قادس[4] فكان هذا النهر تدخله السفن التجارية الشراعية المعتدلة فساهم في دخول مختلف السلع إلى قرطبة وجميع المدن التي يمر بها، فيذكر الإدريسي أن القليعة على ضفة النهر الكبير ويجاز إليها في المراكب ويضيف أنه من شاء من اشبيليا إلى قرطبة ركب المراكب وصار صاعداً في النهر[5]، ويقول ابن مفلح أن اشبيليا بها النهر الكبير الذي يضاهي دجلة والفرات والنيل وتسير القوارب فيه للنزهة

[1]- عبد الكريم يوسف جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، د.ط،(المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م)، صـ153.
[2] - الإدريس نزهة المشتاق، ص287.
[3] - المصدر السابق ،ص296.
[4] - الحميري الروض المعطار، ص145.
[5] - الإدريسي، نزهة المشتاق ، ص301.

والصيد كما كان النهر شطويرة أهمية اقتصادية كبيرة إذ كان ينقل عبره المسافرين فيقول الإدريس أنه نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيراً[1].

أمّ نهر يانا فهو يوازي النهر الكبير فيمر بها ثم بيطلموس ثم إلى حصن مارثلة ينصب في البحر المظلم بالقرب من جزيرة شلطيش.

ومما يلاحظ أن هذا النهر أنه يكون يف موضع يحمل السفن ثم يغور تحت الأرض ولهذا كان يسمى النهر الغؤور[2]، فأهميته الاقتصادية تبقى متذبذبة فأحياناً يصلح للملاحة وأحياناً يتضاءل دوره في التجارة.

وأما نهر تاجة فيكتسي هو الآخر أهمية تجارية كبيرة فهو يربط أواسط الأندلس بالساحل الأطلسي فيخرج من ناحية الجبل المتصلة بقلعة البونت ثم يمر بطليطلة ثم طلبير ثم شنترين ثم إلى أشتيونة فينصب هنالك في البحر وسعته تبلغ ستة أميال[3] ولهذا فهو يسهّل الملاحة على السفن ذات الحجم المتوسط .

أمّا النهر الأبيض فيمر بأوريولية وهو عبارة عن حصن ثم المرور ثم ينصب في البحر وكما يقول الإدريسي أنه كان بمدينة لقنت أودية تدخلها المراكب[4] وإن كان هذا النهر ذو أهمية تجارية ضعيفة مقارنة بالأنهار الكبيرة الأخرى إلا أنه كان له دوراً في تلك العزلة على تلك المدن التي يمر بها بالإضافة إلى هذه الأنهار الكبيرة كان هناك بعض الأنهار الثانوية قليلة الأهمية بالنسبة للتجارة.

---

[1] - الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص267.
[2] - الحميري، لروض المعطار ، ص46.
[3] - الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص271 ص277.
[4] - المصدر السابق ، ص 140 ص 284

إن أنهار الأندلس تتبع جميعها من جبال في وسطها، فما اتجه من هذه الأنهار ناحية الشرق كان يصب في البحر المتوسط أما الأنهار الكبيرة روافد تتقابل فيما بينهما، الأمر الذي يتيح السفر عبرها إلى مختلف أجزاء الجزيرة الإيبيرية فمنابع "نهر تاجه وروافد نهر شقر ووادي مرسيه تتصل بروافد نهر الوادي الكبير آنه"[1]، لذا فإن تجار الأندلس وكذا تجار اسبانيا ومعهم تجار الفرنجة، استعملوا هذه الأنهار كطرق تجارية لتبادل البضائع والسلع، فقد كانت سفن الأندلس وسفن الفرنجة ونصارى اسبانيا الشمالية تفد إلى هذه الأنهار بالبضائع، وتعود منها محملة ببضائع الأندلس، يساعدها في ذلك عملية المد والجزر الذي تبلغ في نهر الوادي الكبير، "اثنين وسبعين ميلاً، وتصعد مراكب الفرنج بوسقها إلى اشبيلية"[2]، بينما يصعد المد في نهر ياته نحو ستين ميلا"[3]، فقد كان التجار الأندلسيون يشقون طريقهم إلى البلدان الأوروبية انطلاقاً من "ثغور وادي ياته، ونهر شقر كقصر أبي دانس وبطليوس وماردة وقلعة رباح و كونكة"[4].

4. الطرق البحرية:

إن الطابع الجزري للأندلس بوقوعها وسط البحار، البحر المتوسط من ناحية الشرق والمحيط الأطلسي من ناحية الغرب، لذا فإن الطرق البحرية من الأندلس كانت في عدة اتجاهات، ولعل أكبر قدر من هذه الخطوط البحرية؛ هي تلك التي تربطها ببلدان القارة الإفريقية الواقعة على الساحل والممتدة من المغرب الأقصى غربا إلى المغرب الأدنى شرقا، وهذا راجع إلى وقوع هذه البلدان قبالة أرض الأندلس، لا تفصلها عنها سوى مسافات قصيرة، أو متوسطة، وهو مما ساعد على نشوء عدة صلات حضارية بين الأندلس وهذه البلدان لاسيما منها الصلات التجارية، وقد وصف ابن حوقل هذا الموقع المتميز بقوله: "ثم تمتد أرض الأندلس على البحر فتواجه من أرض

[1]- عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية، صـ776.
[2]- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، صـ167.
[3]- المصدر السابق، صـ179.
[4]- موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، صـ316.

المغرب تونس، وهكذا طبرقه إلى جزائر مزغنّاي إلى تنس إلى وهران إلى نكور إلى سبته ثم إلى أزيلي"[1]، كما تمتد الخطوط البحرية من الأندلس باتجاه بلدان أخرى سواء القريبة منها كبعض بلدان القارة الأوروبية، أو البعيدة عنها كبلدان المشرق الإسلامي، بل إنها تمتد إلى بلدان بأقصى الشرق فتصل إلى الهند والصين وغيرهما، وسنحاول ذكر أهم الطرق البحرية الخارجية للأندلس:ـ

أ- الطرق البحرية بين الأندلس والبلدان الأوروبية:

لقد اتصلت الأندلس ببلاد النصارى المتاخمة لها والبعيدة عنها عبر مجموعة من الطرق البحرية غربا وشرقا، حيث امتدت الخطوط التجارة غربا في مياه المحيط متجهة نحو "بلاد جليقية وتنعرج نحو نباري إلى أن تبلغ مدينة يرذيل والغالب على الظن أن هذا الخط البحري كان يتعمق إلى غاية جزر انكلترا و إرلندة"[2]. فقد أبحر الأندلسيون عبر مياه المحيط ولا أدل على ذلك من تلك الإشارات المتفرقة التي وردت في مختلف المصادر، عن أقوال بعض المسافرين فيه من تجار وغيرهم، يصفون بعض عجائبه وأحواله، كذكرهم لخبر الحيتان الكبيرة التي تستطيع قلب مركب بما فيه "قال ابن سعيد: عاينت من ذلك العجب، والمسافرون في البحر يخافون منها لئلا تقلب المراكب"[3]، وكانت هذه الطرق البحرية تشهد حركة نشيطة للملاحة من خلال كثرة المراكب الكبيرة الداخلة إلى الأندلس والصادرة عنها، يقول ابن سعيد أيضا أنه من خلال النهر الواقع جنوب مدينة طلوزة، الواقعة شرق بردال "برذيل"، كانت المراكب "تصعد في البحر المحيط بالقز دير والنحاس اللذان يجلبان، من جزيرة انكلترا، وجزيرة وإرلندة ويحملان على الظهر إلى نريونه"[4]، ومنها يحملان في مراكب إلى الإسكندرية"[5]، هذا وإن " الطريق البحري عبر ساحل اسبانيا الغربي، المطل على بحر الظلمات لم يسلك إلا منذ عهد عبد الرحمن الأوسط بعد القضاء على خطر

---

[1]- ابن حوقل، صورة الأرض، صـ65.
[2]- الطاهري، دراسات ومباحث، صـ127.
[3]- المقري، نفح الطيب، ج1، صـ199.
[4]- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، صـ118.
[5]- المصدر السابق، صـ181.

النورمـان"[1]، أمـا مـن ناحيـة الشـرق فقـد امتـدت الخطـوط البحريـة بكثافـة فـي البحـر المتوسـط (الشامي)، متجهة نحو أوروبا الغربية، حيث ربطت هذه الخطوط مراسي الأندلس، كمراسي المرية مثلا، بمرسى بلاد النصارى، كميناء برشلونة, أنيش مرسيلية في قطلونية، وبلاد الفرنجة[2]. وقد ذكرنا المرية لأنها كانت أهم وأكبر موانئ الأندلس التي تحط بها المراكب من مختلف أصقاع العالم، يقول المقري عنها: "و بها كان محط مراكب النصارى ومجتمع ديوانهم، ومنها كانت تسفّر لسائر البلاد بضائعهم، ومنها كانوا يوسقون جميع البضائع التي تصلح لهم"[3].لقد كانت المرية "مركزا للسفن القادمة من مشرق البحر المتوسط و محطاً لمراكب النصارى، ونعني بهم الجنويين، والبيزيين والبنادقة، والقطلانيين والأرغونيين"[4]. لذا فقد كانت الملاحة في مياه البحر المتوسط تعرف نشاطا مضاعفا، فالرحلات التجارية ظلت متبادلة بينها وبين أهل بلاد النصارى، الذين كانوا يترددون بدورهم على بلاد الإسلام وكمثال عن ذلك: نذكر مدينة مرسيلية التي يقول عنها ابن سعيد أنها كانت إحدى " فرض الفرنج المترددين على بلاد الإسلام"[5] ومثلها مدينة بيس[6].

ومن الأندلس يمر الطريق البحري عبر الساحل الشرقي المطل على البحر الرومي، ثم تنقل السلع عبر الموانئ الجنوبية لفرنسا، كما توطدت المواصلات البحرية عبر الجزائر الشرقية (ميورقة، ومنورقة) في اتجاه جزيرة سردينية، متعمقة نحو مرافئ أمالفي و جنوة، و بيشة وغيرها، من المدن الإيطالية[7]، وقد وصلت إلى غاية شمال بلاد الفرنجة وانكلترا وبلاد الفلاندر.

[1]- دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، صـ361.
[2]- الطاهري، دراسات ومباحث، صـ28.
[3]- المقري، نفح الطيب، ج3، صـ220.
[4]- سالم، تاريخ وحضارة الأندلس، صـ89.
[5]- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، صـ182.
[6]- المصدر السابق، صـ169.
[7]- الطاهري، دراسات ومباحث، صـ128.

وهناك خط بحري رابط بين موانئ الأندلس وجزيرة صقلية[1]، فمن ميناء قرطاجنة يمتد خط بجري نحو ميناء اطرابنش بصقلية، وهو الطريق الذي يذكر ابن جبير أنه سلكه أثناء رحلة العودة من صقلية إلى الأندلس[2].

ب . الطرق البحرية بين الأندلس والمغرب الأقصى:

لقد ربطت الأندلس وبلاد المغرب الأقصى طرق بحرية، نشيطة وهذا أمر طبيعي نظراً لقرب المسافة بين العدوتين بحيث "يضيق الزقاق بين بر العدوة وبر الأندلس فيكون قدر ثمانية عشر ميلا، وطوله إلى جبل الميناء الذي على سبته أربعة وأربعون ميلا"[3]، فمن ميناء اشبيلية يمتد خط بحري يصلها بموانئ المغرب الأقصى مثل ميناء طنجة التي يقول الإدريسي أن:"بها إقلاع وحط"[4]، ومن اشبيليا والجزيرة الخضراء نحو ميناء سبته، التي يقول عنها ابن سعيد أنها "بين بحرين وهي ركاب البرين شبة الإسكندرية، في كثرة الحط و الإقلاع"[5]، ومن الموانئ الغربية بالأندلس، تمتد خطوط بحرية نحو مدن مغربية أخرى مثلا: سلا، وأنفا وبلاد السوس، وأزمور[6]، وتستمر بعض الرحلات البحرية الأندلسية إلى غابة السوس الأقصى "وهو آخر ما تبلغ إليه مراكب البحر من الأندلس"[7]، وهذا منذ عصر بني أمية" تصاعدت أهمية ميناء تابحريت في ضمان التواصل البحري بين العدوتين المغربية والأندلسية، ويقع هذا الميناء على ساحل مدينة وجدة"[8].

---

[1]- الحميري، الروض المعطار، صـ267.
[2]- أبو الحسن محمد بن جبير، رحلة ابن جبير، (بيروت: دار صادر ، 1964م)، صـ17.
[3]- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، صـ138.
[4]- الإدريسي، القارة الإفريقية جزيرة الأندلس، صـ168.
[5]- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، صـ139.
[6]- أبو عبدالله محمد بن بكر الزهري، كتاب الجغرافيا، د.ط، ت.محمد جاج صادق، (بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، صـ91.
[7]- الطاهري، دراسات ومباحث، صـ110.
[8]- المرجع السابق، صـ111.

ج . الطرق البحرية بين الأندلس والمغرب الأوسط:

إن الموقع الهام للأندلس من حيث أن معظم موانئها تقابل وتوازي موانئ المغرب الأوسط كان له أثر كبير في ظهور عدة طرق بحرية تربط بين موانئ البلدين، فهناك طريق يمتد من الأندلس بحرا نحو ميناء بني مزغنة التي يقول عنها المقدسي أنها: " على ساحل البحر مسوّرة يعبر منها إلى الأندلس"[1]، وقد كان مرساها مقصد "أهل السفن من إفريقيا والأندلس"[2]. وطريق يربط بين مرسى وهران ومرسى أشكو برش[3] المقابل له من بلاد الأندلس، وأشكو برش هو المرسى القديم الذي نزله البحريون، قبل نزولهم بجانة والمسافة بين الميناءين، قريبة لدرجة أن المقدسي يقول أن المسافرين " يقلعون منها إلى الأندلس في يوم وليلة"[4]، وعلى ميلين من وهران كان " المرسى الكبير و به ترسو المراكب الكبار والسفن السفرية، ويوجد بوهران الخير الكثير حيث كانت مراكب الأندلس إليها مختلفة"[5]، كما توجد موانئ أخرى بالمغرب الأوسط تنطلق منها رحلات نحو الأندلس أو تنتهي إليها رحلات أهل الأندلس، كمرسى فروخ المقابل لمرسى مدينة لورقة[6]، ومرسى تنس المقابل لمرسى شنت بول[7]. ويقول ابن سعيد عن مدينة تنس أنها " مشهورة بكثرة القمح، ومنها يحمل في المراكب إلى سواحل الأندلس وغيرها"[8]، مرسى الدجاج ومرسى الخرز وميناء نكور، وهي من أكثر المراسي التي كان يستعملها تجار مدينة تاهرت بالخصوص لنقل سلعهم نحو الأندلس.

---

[1]- شمس الدين المقدسي، حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ت.محمد امين الصاوي، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 203)، صـ228.
[2]- الطاهري، دراسات ومباحث، صـ113.
[3]- البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب،جزء من كتاب المسالك والممالك، (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة)، صـ81.
[4]- المقدسي، أحسن التقاسيم، صـ229.
[5]- الإدريسي، السماء الأفريقية وجزيرة الأندلس، صـ153.
[6]- المصدر السابق، صـ81.
[7]- المصدر السابق، صـ81.
[8]- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، صـ142.

" ويبدو أن الحركة أنشط في ميناء تنس و مرسى فروخ"[1]، فعمليات الذهاب والإياب بين هذه المراسي ومراسي الأندلس، لم تكن تتوقف إلا في أيام فصل الشتاء العاصفة، حيث تتشكل أمواج البحر عائقا لمستعملي الخطوط البحرية، ونخص بالذكر تلك الرابطة بين مدينة طرطوشة وميناء بجاية، فقد ذكر ابن سعيد أنه" على الساحل الذي بشرق بجاية جبال الرحمة، تقاسي المراكب في بحرها هولا شديداً"[2]، ولعل أخطار البحر في الشتاء هو ما دفع " البحريين الأندلسيين أن يشتوا في تنس، إذا سافروا إليها من الأندلس"[3]، فقد تواترت الأخبار عن "جماعات التجار الأندلسيين المستقرين ببونة ومرسى الدجاج وتنس ووهران"[4]، ولقد نشطت هذه الطرق البحرية مابين الأندلس والمغرب الأوسط على امتداد عهود طويلة.

د . الطرق البحرية بين الأندلس وإفريقيا:

إن أهم خط بحري يربط الأندلس بإفريقيا، هو الذي ينطلق من موانئ الأندلس كميناء مدينة لقنت، التي يقول عنها ابن سعيد المغربي" وبهذه المدينة ميناء المراكب وهو مرسى مرسيه، يقلع الناس منه إلى إفريقيا"[5]، فيصلون منه إلى ميناء المهدية بتونس، وكذلك ميناء طبرقه ، اللتين كانتا "ذات اقلاع ومحط للسفن الأندلسية"[6].

لكن هذا الطريق لم يعرف حركة ونشاطاً بارزين في عهد بني أمية، وذلك يرجع إلى سوء العلاقات السياسية بين بني أمية في الأندلس، والأغالبة خلفاء العباسيين بتونس، ثم الفاطميين أعداء أهل السنة جميعاً، وإن وجدت علاقات تجارية بين الأندلس وإفريقيا خلال هذه العهود فإنها لم تكن علاقات صريحة وواضحة[7].

---

[1]- يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرسمية، صـ155.
[2]- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، صـ142.
[3]- يوسف، العلاقات الخارجية الدولية الرسمية، صـ157.
[4]- الرشاطي، والأشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار، صـ59.
[5]- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج2، صـ274.
[6]- الطاهري، مباحث ودراسات في تاريخ الأندلس، صـ182.
[7]- ابن حوقل، صورة الأرض، صـ76.

هـ . الطرق البحرية بين الأندلس والمشرق الإسلامي:

كانت للأندلس علاقات تجارية برا وبحراً، والطريق البحري كان في عدة اتجاهات يربط هذه الجزيرة المعزولة في البحر بالكثير من أصقاع العالم القريبة منها والبعيدة عنها، مثلما هو الأمر لبلدان المشرق الإسلامي، التي كانت ضمن البلدان التي ارتبطت بالأندلس عبر خطوط ملاحية منذ عهد الخلافة الأموية، خاصة بلاد الشام ومصر، وهذا انطلاقا من ميناء المرية التي اعتبرت "البوابة الرئيسية لبلاد المغرب نحو المشرق"[1]، فقد كانت المرية "تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام"[2]، محملة ببضائع تلك البلاد التي يتم تسويقها في أسواق الأندلس، كما تعود هذه المراكب محملة ببضائع الأندلس التي يحتار فيها أهل المشرق، فيذكر ابن حوقل أنه "بالأندلس غير طراز يرد إلى مصر متاعه وربما حمل منه شيء إلى أقاصي خراسان وغيرها"[3]، ولم تكن المنتجات الصناعية كل ما يصدّر إلى المشرق بل صدّرت الأندلس المنتجات الزراعية أيضاً، وبهذا الشأن يقول ابن الدلائي عن زيتون الشرف " ويركب به البحر إلى المشرق"[4]، كما يقول الإدريسي إن تين مالقة كان" يحمل إلى بلاد مصر والشام والعراق وربما وصل الهند"[5]، ويذكر هو الآخر ميناء المرية في قوله:"وكانت المرية إليها تقصد مراكب الطريق من الإسكندرية والشام كله"[6]، ويعد الطريق الرابط بين ميناء المرية وميناء الإسكندرية أهم خط بحري باعتبار أن مصر كانت "تشكل واسطة العقد في المبادلات التجارية بين جناحي دار الاسلام" [7]، كذلك الخط الرابط مابين المرية وبلاد الشام عبر عسقلان والذي تحول إلى مرسى اشبيلية وهذه الخطوط كلها كانت تمتد عبر مياه

---

[1]- الطاهري، دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس، صـ100.
[2]- الحميري، الروض المعطار، صـ538.
[3]- ابن حوقل، صورة الأرض، صـ105.
[4]- ابن الدلائي، نصوص عن الأندلس، صـ95.
[5]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ565.
[6]- المصدر السابق، صـ562.
[7]- الطاهري، دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس، صـ115.

البحر الأبيض المتوسط، مما جعل المقدسي يقول أن:"أهل الأندلس أخبر الناس به وحدوده و خلجانة، لأنهم يسافرون فيه، وفيه طرقهم إلى مصر والشام"[1].

[1]- المقدسي، حسن التقاسيم، صـ15.

الفصل الثالث

(الصلات التجارية الخارجية لبلاد الأندلس)

أولا: العلاقات التجارية مع المغرب والسودان.

ثانيا: العلاقات التجارية مع بلاد المشرق.

ثالثا: العلاقات التجارية الأندلسية مع الدول الأوروبية.

رابعا: العلاقات التجارية بين الأندلس والممالك الأسبانية.

الصلات التجارية الخارجية لبلاد الأندلس:

تشكل الأندلس همزة وصل بين إفريقيا والغرب وأوروبا نظراً لموقعها الجغرافي الهام، فحاولت استغلال موقعها بإقامة علاقات تجارية موسعة مع بلاد المغرب خاصة، وبالرغم من وجود بعض العراقيل السياسية والعسكرية إلا أنها نجحت في تخفيف وتمهيد هذه العراقيل، وكذلك أقامت علاقات مع أوروبا، فوصلت الأندلس إلى فترة ازدهار اقتصادي كبير.

أولاً: العلاقات مع المغرب والسودان:

إن أهم وأقرب بلد كانت تتعامل معه الأندلس في مجال التجارة هي بلاد المغرب، والتي كان لمدن هذه المنطقة وموانئها أهمية كبرى في التبادل التجاري، فالأندلس كانت تصدر لها مصنوعاتها، وتستورد منها بعض المواد الأولية ذات الأهمية التجارية في تلك الفترة، وقد عمل الأندلسيون على تأسيس مدن بأكملها ببلاد المغرب[1]، حتى يضمنوا سيطرتهم الكاملة على تجارة تلك المنطقة سواء سلميا أو عسكريا، كالسيطرة مثلا على مدينة سبته و طنجة، فكانت المراكب الأندلسية ترسو في بحيرة أريغ وميناء نكور[2]، وتحمل غلات تلك الناحية وفيها يركب أهل البصرة[3]، ويشحنون من نواحيهم[4]، وسيطرت الأندلس على مضيق جبل طارق الاستراتيجي الهام في مجال المبادلات التجارية[5]،وأصبح بذلك لسبته وطنجة الأثر العظيم في رواج التجارة الأندلسية المغربية. وقد كان لقرب المسافة بين المنطقتين أهمية كبيرة في تسهيل التبادل التجاري، فكان لا يفصل بين العدوتين إلا مدة زمنية قليلة للوصول، فيقول في هذا الصدد ابن بسام معبرا عن قرب المسافة: " فإنه ليس بيننا وبينكم . أهل المغرب . إلا روحة راكب أو دلجة قارب ولو نفث ببلدكم

---

[1]- البكري، في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ج2، صـ239.
[2]- المقدس، أحسن التقاسيم، صـ223.
[3]- البكري، في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ج2، صـ239.
[4]- ابن حوقل، صورة الأرض، صـ81.
[5]- سامية سعد، العلاقات بين المغرب والأندلس، صـ168-169.

مصدور، لأسمع ببلدنا من في القبور فضلا عمن في الدور والقصور"[1]، فكان إذاً جبل طارق يظهر في البر من سبتة وفيما بينه وبين الجزيرة الخضراء، كذلك الميناء المشهور الذي ترسو فيه مراكب سبته[2]. كما قام التجار الأندلسيون بتأسيس مدن بسواحل المغرب الأوسط كمدينة تنس[3]، ووهران[4] ومرسى الدجاج[5] ومدينة بجاية[6]، فكانت هذه المدن يسكنها الأندلسيون وفيها ينتقلون من برهم عبر البحر إلى الأندلس[7]، كما كانت السفن الأندلسية تقصد مرسى بني مزغنة[8] ويعبرون من سوق حمزة[9] بالمغرب الأوسط إلى الأندلس بجزيرة بني زعتابة وميناء بونة[10]، حاملين في كل هذا بضائعهم إلى تلك المناطق لبيعها، أو المقايضة بينها وبين سلع أخرى فميناء وهران كما يذكر ابن حوقل كان فرضة الأندلس إليه ترد السلع، ومنه تحمل الغلال[11]، وكان من أهم أسواقها سوق إبراهيم[12]، وسوق ابن جبلة، وسوق دار ملول وسوق فكان[13]. وربطت الأندلس علاقات تجارية مع تيهرت عاصمة الرستميين فكانت السفن رائحة غادية بين ثغور الجنوب الشرقي، مثل: لقنت والمرية والمنكب. وميناء نكور ومرسى فروخ، وهي الموانئ الرئيسية لدولة بني رستم أصحاب تيهرت[14]، فكان اتصال دولة بني رستم بالأندلس، عن طريق مرسى فروخ على البحر المتوسط الذي يواجهه مباشرة موانئ شاطبة وتدمير ومرسى آفلة الأندلسية[15]. كانت تيهرت

---

[1]- أبو الحسن، علي الشنتريني ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ط1، احسان عبد القدوس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 200م)، صـ113.

[2]- المقدسي، صورة الأرض، صـ185.

[3]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ152-153.

[4]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، صـ184.

[5]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ159.

[6]-أحمد بن محمد أبو رزاق, الأدب في عصر الدولة بني حماد، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1979م)، صـ50.

[7]- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ج2، صـ246-268-269.

[8] -المصدر السابق، ج2، صـ246.

[9]- المقدسي، أحسن التقاسيم، صـ184.

[10]- أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ت.وتعليق: محمد شمام، (تونس، المكتبة العتيقة) صـ116-134.

[11]- ابن حوقل، صورة الأرض، صـ77-78.

[12]- المصدر السابق، صـ152.

[13]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ18-19.

[14]-مؤنس، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، صـ96 -97.

[15]- العذري، نصوص من كتاب ترجيح الأخبار، صـ18 -19.

همزة الوصل بين الأندلس والسودان الغربي[1]، فيذكر محمود اسماعيل، أن حكام تاهرت قدّموا الكثير من التسهيلات لتجار الأندلس، أثناء رحلاتهم إلى بلاد السودان، وكثيراً ما آثر بعض التجار والحرفيين الأندلسيين الإقامة في تاهرت، والعمل في أسواقها وحوانيتها، بينما كان البعض الآخر يعمل في نقل المتاجر بين الدولتين[2]، فكان أهل تيهرت يسيطرون على تافيلالت[3]، التي تحوي إلى الطريقين الغربيين إلى غابة بمنتصف القرن" 4هـ/ 10م "، وكان الرستميون في هذا أصدقاء للأمويين في الأندلس[4]، ويضيف الجنحاني أن منطقة المغرب الأوسط تتصل المسالك التجارية فيها بمدينة تيهرت عاصمة الدولة الرستمية، وهي مركز تجاري حساس يربط مسالك الصحراء بالأندلس[5]. وكان للأندلس علاقات تجارية مع إفريقيا (تونس)، فكانت السفن تخرج من مدينة جربه[6] إلى مراسى الأندلسيين[7] كما كانت قرية طبرقة[8]عدوة لأهل الأندلس فإليها ينتهون بسلعهم، ومنها إلى الأندلس يركبون، وقد اشتهرت على صغرها بكثرة ورود مراكب التّجار فيها[9]. لكن بالرغم من وجود بعض التبادل التجاري إلا أنه كانت تنتابه بعض العراقيل ، فتشير كونستابل إلى أن تونس لم تكن محطة شعبية بالنسبة للسفن الأندلسية، خلال القرن "4هـ/10م"؛ وربما كان هذا بسبب العداوة الأموية الفاطمية قبل سنة "960م". فتذكر المصادر التاريخية أنّ العداء كان مستحكما بين الفاطميين و الأندلسيين، فكان أهل القيروان السنة مضطهدين من قبل الفاطميين الشيعة لتشبتهم بمذهبهم، فإذا كان أهل تلك البلاد يضطهدون فما بالك بالوافدين الأندلسيين التجار.

---

[1]- محمود اسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، (بيروت: دار العودة، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1976م)، صـ207.
[2]- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبدالله، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، ج1، ب.ط، شرحه وقدّم له صلاح الدين الهواري، (بيروت، المكتبة العطرية)، صـ209.
[3]- محمود اسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، صـ209.
[4]- أرشيباليد لويس، القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط، ت.أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد شفيق غربال، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية) صـ255.
[5]- الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، (تونس-القوشية للنشر 1978م)، صـ19.
[6]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ206.
[7]- ابن غالب، ترصيع الأخبار، صـ292-293.
[8]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ190
[9]- البكري، المغرب في ذكر بلد إفريقيا والمغرب، صـ217.

كما كانت هنالك علاقات تجارية بين الأندلس وبلاد السودان، لكن أهملت المصادر الأندلسية تدوين الرحلات إلى بلاد السودان إلا في القليل النادر، فرغم أن المبادلات التجارية ما فتئت تزداد كثافة واتساعاً بين المنطقتين براً عبر المسالك المغربية؛ وبحرا عبر السوس الأقصى وهو آخر ما تبلغ إليه مراكب الأندلس[1]. فقد كان لميناء شاطبة دوراً أساسياً وفعال في نقل مختلف السلع والمنتجات إلى بلاد السودان، وكان يتجهز منه التجار بالأمتعة إلى بلاد السودان[2] إذ كان هناك تبادل للمنتوجات والمصنوعات الحرفية الأندلسية بالذهب والعبيد السوداني، فقامت الأندلس بتمهيد الطريق إلى السودان، وفتحت عدة منافذ بحرية على طول الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط، وغرب القارة الأفريقية، أي الساحل الشرقي للمحيط الأطلنطي، ولهذا عمل الأندلسيون على إبقاء الصراع مع الفاطميين في بلاد المغرب حتى لا تتضرر تجارة الأندلس وتبقى موانئها ومنشآتها البحرية سليمة، فكانت فاس وسلجماسة وتلمسان[3] ونكور وسبته وبلاد الزاب، مسالك ومنافذ تجارية هامة من وإلى بلاد السودان، وكانت خاضعة للقوة الأندلسية في فترة الخلافة[4]. فأصبح بهذا للأندلس أساطيل تجارية تتاجر مع بلاد المغرب وتنقل المسافرين والبضائع إلى شواطئه[5]. ونشطت حركة التبادل التجاري بين بلاد الأندلس وبلاد المغرب والسودان؛ نتيجة للازدهار الزراعي والصناعي الكبيرين للأندلس.

1. الصادرات الأندلسية نحو بلاد المغرب والسودان:. وقد كانت الأندلس تصدر نحو بلاد المغرب والسودان الكثير من السلع ومنها بضائع ذات أصول زراعية وأخرى ذات أصول معدنية.

[1]- الطاهري، الرحلة التجارية الأندلسية، صـ68.
[2]- العذري، نصوص عن الأندلس، صـ149.
[3]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ149.
[4]- الجنجاني، المغرب الإسلامي، صـ81.
[5]- مؤنس، أوضاع السياسية الاقتصادية، صـ101-102.

أ. زيت الزيتون:

ومن الصادرات الأندلسية الهامة، نحو بلاد المغرب نجد زيت الزيتون، إذ كان من أهم الحاصلات التي عرفت فائضا ببلاد الأندلس، وخاصة اشبيلية، فقد استغنى أهل اشبيلية من التجارة بهذا الزيت، فكانت جل تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى بلاد المغرب برا وبحرا[1]، فذكر الزهري أن بلاد المغرب كانت من بين الأماكن التي تتلقى الزيت الإشبيلي[2]، فقامت اشبيلية بتصدير الزيت إلى سلا[3] في المغرب الأقصى، وكذلك قرية شوذر التي عرفت بغدير الزيت لكثرة زيوتها وصادراتها منه[4].

كما استقبلت إفريقيا كميات من الزيت الأندلسي رغم جودة زيتها واشتهار مدينة صفاقس به، وهذا ربما يعود إلى جودة الزيت الأندلسي ونوعيته الفاخرة، وكذلك لإنتاج كميات كبيره منه، فوصل إلى حد منافسة أكبر المناطق إنتاجاً له في تلك الفترة، فذكر الزهري أن بلاد إفريقيا كانت من بين الأماكن التي تتلقى الزيت الاشبيلي[5]، فكان زيت الزيتون من أهم الحاصلات المصدرة التي عرفت الأندلس فائضا فيها وخاصة باشبيلية، وذكر الرازي أنه إذا لم تصدر اشبيلية زيت الزيتون فسيكون هناك فائض يستحيل تخزينه وبالتالي سيتلف[6]. فكان بالمرية معاصر الزيت القريبة من الميناء حتى يسهل نقله بسهوله وتصديره إلى باقي المناطق وبالإضافة إلى زيت الزيتون كانت الأندلس تصدر باتجاه المغرب التين والمكسرات كاللوز، واللذان يجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المغرب[7].

---

[1]- الحميري، الروض المعطار، صـ18-19.
[2]- كونستابل، التجارة والتجار بالأندلس، ط1، ت:فيصل عبدالله، (السعودية: مطبوعات العبيكان، 2002م)، صـ275.
[3]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ141-142.
[4]- القلصادي،رحلة القلصادي, صـ86.
[5]- كونستابل، التجارة والتجار بالأندلس، صـ215.
[6]- المرجع السابق ، صـ274.
[7]- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطوطة، تحفة النظار في غرائب وعجائب الأسفار رحلة ابن بطوطة، ج1، ط1، (المطبعة الخيرية، 1322هـ)، صـ767-768.

ب . القطن:

من أهم السلع التي قامت الأندلس بتصديرها إلى بلاد المغرب نجد القطن، فرغم من أنه من المحاصيل الطارئة عليها من بلاد المشرق، إلا أن زراعته نجحت نجاحاً كبيراً، وأصبحت الأندلس من أوائل البلدان المصدرة له، وتنقل كونستابل عن الرازي أن منطقة اشبيلية قد أنتجت كمية كبيرة من القطن حيث صدر إلى جميع البلدان وخلال البحر[1]، فكانت اشبيلية من أهم المدن الأندلسية المصدرة للقطن حيث كانت تنتج كميات وافرة، فهو يجود بأرضها فيتجهز التجار به إلى المغرب وسلجماسة و ماولاهما[2]، وقد استفادت سجلماسة من القطن الإشبيلي في تطوير صناعة النسيج بها[3]، كما قامت الأندلس بتصدير القطن إلى إفريقيا، فيذكر الحميري التجار الأندلسيون يتجهزون بالقطن إلى إفريقيا وما ولاها[4]، فكان يحمل من اشبيلية إلى القيروان[5] كما يذكر العذري أن أرض اشبيلية فريدة في تجارتها، أي منطقة لنمو القطن مدهش وهو مثير في كافة أنحاء الأندلس، أُخذ كبضاعة إلى إفريقيا[6].

ج . الخشب والمراكب الجاهزة:

كان الخشب في العصور الوسطى من المواد التي يكثر عليها الطلب، في مختلف أسواق العالم، وهذا لاحتياجه في صناعة السفن الحربية وغيرها، وكانت الأندلس تنتج كميات كبيرة من الخشب، وتصدر الفائض منه إلى بلاد المغرب على هيئة رزم أو قطع معدة للصناعة، فحسبما يذكر المؤلف المجهول أنه كان يجلب البقس من طرطوشة إلى جميع بلاد المغرب، وخاصة من يابسة باتجاه إفريقيا[7]، وكان خشب غابات الأندلس يصدر على نطاق واسع، كأفضل بضاعة

---

[1]- كونستابل، التجارة والتجار بالأندلس، صـ221.
[2]- ابن غالب، فرحة الأنفس، ج2، صـ292.
[3]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ221.
[4]- الحميري، الروض المعطار، صـ20-21.
[5]- العذري، نصوص عن الأندلس، صـ96.
[6]- المصدر السابق، صـ96.
[7]- كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عهود المرابطين والموحدين، (الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، د.ت)، صـ343.

مهمة مقدمة من الأندلس إلي المناطق الأخرى من عالم البحر المتوسط[1]. و كانت شلب مطوقة بالغابات، وتنتج كميات كبيرة من الخشب لتصدر في جميع الاتجاهات، وقد صنع منه سفن كثيرة[2]، كما كان هناك تصدير للمصنوعات الخشبية، كالقصاع والخوابي، والأطباق والأسّرة المرصعة إلى المغرب الأقصى[3].

د . الماشية والخيول:

كانت الأندلس تتربع على ثروة حيوانية كبيرة، وذات جودة عالية نظرا لمناخها الملائم، فكما يقول ابن غالب عن طليطلة " أنه يطيب مرعاها وتحسن الماشية في مسارحها"[4]. فمنطقة جبل الشارات بوسط الأندلس غنية بثروتها الحيوانية، فكان بها الأغنام والأبقار، ويتجهز بها الجلابون إلى مناطق عديدة وخاصة إلى بلاد المغرب الأقصى[5]. فكانت الخيول في تلك الفترة من أغلى السلع، بحيث تبادل بالعبيد السودان، الآتية عن طريق بلاد المغرب الأقصى في أغلب الأحيان، وكان يتم تصديرها عن طريق مرسى كورة الجزيرة الخضراء نحو بلاد المغرب، فكان هذا المرسى من أيسر المراسي للخيول وأقربه من بر العدوة [6].

- **المنتوجات المصنعة المصدرة:**

لقد اشتهرت الصناعات الأندلسية وتنوعت، فمنها ما هو أصل نباتي وحيواني، ومنها ما هو أصل معدني:

---

[1] كونستابل، التجارة والتجار، صـ294.
[2] المرجع السابق، صـ295.
[3] كمال السيد، تاريخ الأندلس الاقتصادي، صـ345.
[4] ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، ج1، صـ289.
[5] ابن حوقل، صور الأرض، صـ114.
[6] ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، ج1، صـ294.

أ. الحرير:

لقد كان الحرير على رأس الصناعات التي اشتهرت بها الأندلس، وقامت بتصديرها إلى مختلف مناطق العالم، فتصدير الحرير كان له أهمية بالغة في التجارة الأندلسية[1]، وقد جلبت جودة الحرير بالأندلس التجار الأجانب إليها، فيقول ابن الخطيب عن حرير غرناطة "وكفى بالحرير الذي فضلت به فخراً و قيتة وغلة شريفة وفائدة عظيمة تمتاره منها البلاد، وتجلبه الرفاق، وفضيلة لا يشاركها فيها إلا البلاد العراقية"[2]. فكانت المنسوجات الحريرية الأندلسية مشهورة ولاسيما الوطاء البسطي من الديباج الذي لا يعلم له نظير في العالم[3].

ب . مواد الصباغة:

كان زعفران الأندلس يطلب في جميع الآفاق، وكما يقول البكري : أن زعفران طليطلة هو الذي يعم البلاد، ويتجهز به إلى الآفاق[4]، ومن أهم المدن الأندلسية المنتجة المصدرة لهذه المادة نجد بلنسية وطليطلة وبياسة وبسطة، التي اختصت بالزعفران وفيها ما يكفي أهل الملة الإسلامية بالأندلس، على كثرة ما يستعملونه منه[5]، ولا شك أن الأندلس كانت من أحد البلدان المصدرة للزعفران إلى إفريقيا، والذي كان يستعمل في الطهي كما استعمل كمادة لصباغة المنسوجات، ومن بين الصادرات الأندلسية المهمة إلى إفريقيا، نجد مواد الصباغة كالعصفر الاشبيلي والعصفر الجيد الذي كان يجلب من لبلة[6]، والقرمز الأندلسي يحمل إلى عدة جهات لجودته ، وذكر ابن غالب أن أفضل القرمز هو القرمز الأندلسي، الذي يأتي معظمه من مناطق اشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية، وقد صدر إلى البلاد البعيدة [7].

---

[1]- سامية مسعد،العلاقات بين المغرب والأندلس، صـ171.
[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، صـ156.
[3]- لسان الدين الخطيب، خطرة الطيف رحلات في المغرب والأندلس،ط1، ت. أحمد مختار العبادي (الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، صـ31.
[4]- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ج2، صـ294.
[5]- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، صـ513.
[6]- المصدر السابق ، صـ555.
[7]- ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، ج2، صـ308.

ج . الورق:

كان الكاغد ينتج بشاطبة[1]؛ وكان ذو نوعية حيدة ومنها يحمل إلى سائر البلاد الإفريقية، وهذا لجودته وكثرة الطلب عليه من شتى البلدان[2]. فكان هذا الكاغد (الورق) من بين الصادرات الأندلسية الهامة، وقد ازدادت تجارة الورق ووثقت توثيقا حسنا بعد ازدياد الطلب عليه، فكان أفضل أنواع الورق ما يدعى الشاطبي، ومن دون شك كان هذا الورق الأندلسي مطلوبا بكثرة؛ نظراً لصقالته ونعومته وتميزه عن كاغد باقي العالم[3].

د- الملح:

كان الملح الأندلسي من أجود أنواع الأملاح، بل كانت تختص بملح يسمى الأندراني المبلور، ولا نشك في أن الطلب عليه كان شديداً جدا في أسواق العالم في تلك الفترة، وكان يستخرج من يابسة وقصر أبي دانس[4]، وبسرقسطة فيقول الحموي : "كان بهذه المدينة معدن الملح الأندراني، وهو ملح مبلور وهو الأبيض الصافي الجودة وليس هو في غيرها"[5].

هـ . الزئبق:

أما المعادن فقد أمدت الأندلس بلاد المغرب الأقصى بكثير منها ومن أهمها: معدن الزئبق، بحيث كانت قرطبة على رأس مدن الأندلس إنتاجا وتصديرا لهذه المادة، وخاصة بفحص البلوط وجبال البرانس، فمنه كان يتجهز إلى الآفاق[6]، وكانت المدن المغربية في الدرجة الأولى استيراداً لهذه المادة، نظراً لكثرة ثرواتها الذهبية، فهي تستورد الزئبق من الأندلس لاستعماله في الذهب المجلوب من بلاد السودان[7].

---

[1]- الإدريسي، القارة الإفريقية جزيرة الأندلس، صـ281.
[2]- القلصادي ،رحلة القلصادي، صـ139.
[3]- كونستابل، التجار والتجار، صـ292.
[4]- الإدريسي، القارة الإفريقية جزيرة الأندلس، صـ260.
[5]- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، صـ260.
[6]- المصدر السابق، صـ114.
[7]- الجنحاني، المغرب الإسلامي، صـ25.

و. صادرات أخرى:

بالإضافة إلى هذه المصنوعات فإن الأندلس صدرت إلى المغرب الأقصى وإفريقيا (تونس)، الحصر الفتانة المصنعة والآلات المصنوعة من الصفر والحديد والسكاكين و الأمقاص المذهبة، وغيرها من ألآت العروس والجندي وجميع هذه المصنوعات كانت تصنع في مرسيه ومنها تنقل[1]، كما اشتهرت بالجلود القرطبية والتي كانت تصدر إلى مختلف البلدان ومنها المغرب الأقصى، واختصت مالقة بصناعة وتصدير صنائع الجلد من السفن، والأغشية والحزم و المدورات، وجميع هذه المصنوعات كانت تصنع في مرسيه ومنها تنقل إلى المغرب الأقصى وإفريقيا[2]، ومن الصادرات كذلك نجد المرجان بحيث كان يستخرج من ساحل مدينة بليش وساحل ألبيرة، بكميات كبيرة الظاهر أنها كانت تعد للتصدير إلى الخارج، فكان في أقل من شهر يستخرج نحو ثمانين قنطارا[3]. وحتى الأحجار الكريمة كانت تصدر من الأندلس نحو غيرها من البلدان، كحجر المرقشينا الذهبية المتواجدة بجبال أنطاندة التي لا نظير لها في الدنيا، ومن الأندلس تحمل إلى جميع الآفاق لفضلها ومن بينها السودان[4]، وكما كان يستخرج معدن الطفل من جبل طليطلة، منها يتجهز به التجار الرحّل إلى بلاد الصحراء لفضله وجودته على كل طفل في المشرق والمغرب[5].

– السلع المستوردة من بلاد المغرب والسودان:

أ. الحبوب:

كانت الأندلس تستورد بعض المنتجات من المغرب الأقصى، والتي كانت في حاجة ماسة إليها وعلى رأسها الحبوب وكانت زراعته منتشرة بالأندلس، ولكن الإنتاج كان أقل من الطلب مقارنة

---

[1]- المقرى، نفح الطيب، ج1، صـ163-201-202.
[2]- المصدر السابق، ج1، صـ201-202.
[3]- أبو عبدالله محمد الأنصاري الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (نشر:أ.مهران ينبرج، 1923)، صـ243.
[4]- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، صـ385.
[5]- الدمشقي، تحية الدهر، صـ244.

بعدد السكان ونوعيتهم، فالقمح والشعير والحنطة كانت من ضمن حاصلات مرسيه وغرناطة، و جيان واشبيلية و شلب، ولكن هذا الإنتاج لا يسد حاجة أهل الأندلس، فكانت هذه المواد جل طعامهم من المستورد[1]، وكان يستعاض مكان هذه المواد عن ندرتها بمادة البلوط بحيث كانت غياثاً لأهل قرطبة[2]. فكان المغرب الأقصى من بين البلدان التي تصدر القمح إلى الأندلس، فالمرية تأتيها الميرة في البحر من بر العدوة، بالإضافة إلى ضروب المرافق والتجارات[3]، فكانت تجلب إليها الحنطة نظراً للظروف المناخية التي كانت تمر بها، وخاصة فترة المعتصم بن صمادح، فكما يقول الفتح بن خاقان " فإن ما يملكه من أراضي فهي غير صالحة للزراعة فأكثر ملكه منابت شيح"[4]، ويحكى لنا ابن الخطيب عن عملية الاستيراد والحاجة إليه بالنسبة للأندلس وخاصة في مادة القمح فيقول عن مدينة المنكب " بأن الودك إليها مجلوب وبين أهلها مقلوب"[5]، كما كانت الأندلس تستورد القمح والحبوب من برغواطة عن طريق ميناء فصالة المفتوح للمراكب الأندلسية[6]، فيذكر الإدريسي استيراد الحنطة المغربية، وأن تجار اشبيلية كانوا يقصدون إلى سلا في المغرب الأقصى بالزيت، ثم يتجهزون منها بالطعام (الحنطة) إلى سائر البلاد[7]، كما كانت منطقة المغرب الأوسط من بين اكبر المناطق التي استوردت منها الأندلس ما تحتاج إليه من حبوب وخاصة مدينة تيهرت التي كانت تنتج كميات كافية من القمح، وكان الكثير من التجار يعملون على نقل السلع بين البلدين، إذ في مقابل القمح الذي تستورده قرطبة كانت هذه الأخيرة

---

[1]- الونشريسي، أبو العباس محمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المقرب، عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، ج8، ت.محمد الحج، (الرباط: نشر دار وزارة الأوقاف 1981م)، صـ192.

[2]- موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب، صـ187.

[3]- سالم، تاريخ المرية الإسلامية، صـ27.

[4]- المصدر السابق، صـ74-75.

[5]- لسان الدين السلماني ابن خطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، ت.محمد كمال شيانه، (مصر: مكتبة الثقافة الدينية 2002م) صـ96-202.

[6]- عبدالله العروي، تاريخ المغرب في عهد الوحدة والسطوة، ط2، (الدار البيضاء: بيروت، المركز الثقافي العربي 2000م)، صـ84

[7]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ142.

تصدر إلى تيهرت الكثير من السلع والأمتعة المصنوعة في بلاد الأندلس[1]، كما كنت مدينة وهران من بين أكبر المدن التي يتم استيراد القمح منها[2].

ب . واردات زراعية أخرى:

ومن السلع النباتية التي كانت الأندلس تستوردها من المغرب الأوسط نجد الفواكه الجافة والمكسرات، فقد استوردت الأندلس من المغرب الأقصى وتلمسان، وقفصة التونسية الجوز والفستق، الذي اشتهرت به هذه المدينة، وكذلك لرخص أسعاره بها[3]، كما كانت الأندلس تستورد التمور من فاس[4]، وتم جلب السكر السوسي من المغرب الأقصى إلى الأندلس[5] وجاء في هدية لزيري بن عطية إلى المنصور ابن أبي عامر بعض السلع التي كانت تحتاجها الأندلس، ومنها أحمال من قسي الزان وألف حمل من التمر، وكان هذا في سنة "381هـ" [6].

ج . استيراد بعض المواشي:

ذكر أصحاب الاستبصار أن الأندلس كانت في بعض الفترات تجلب الأغنام، من المغرب الأقصى لرخصها[7]، والظاهر من إستيراد الأندلس للماشية هو لنقصها في معظم الفترات، إذ تربية المواشي تعتمد على الظروف المناخية، فسنوات الجفاف كان بها نقص في الإنتاج الفلاحي قد يتبعه نقص في الإنتاج الحيواني، فالأندلس عرفت بتصديرها للماشية أما فترات الاستيراد فيظهر أنها لظروف مناخية طارئة مرت بها الأندلس، وكانت تجلب الأغنام من المغرب الأوسط ومن تيهرت على وجه الخصوص لرخصها وطيب لحومها[8]، فكان يدخل قرطبة على سائر طرقها أيام

---

[1]- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، مجلد2، صـ110.
[2]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ153,
[3]- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، صـ47.
[4]- محمد عبد الرحمن البكري،السلطة القضائية وشخصية القاضي في نظام الإسلام، ط1، (القاهرة: دار الزهراء للإعلام العربي، 1408هـ)، صـ285.
[5]- الزهري، كتاب الجغرافيا، صـ117.
[6]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، صـ175.
[7]- مراكشي مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، (المغرب: الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985م)، صـ172.
[8]- ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، صـ276.

اكتمالها من جلائب الغنم في كل يوم أيام درور الجلائب من سبعين إلى مائة ألف رأس حاشا البقر[1]، وكانت هدية زيري بن عطية للمنصور ابن أبي عامر عبارة عن بعض السلع التي كانت تحتاجها الأندلس، إذ أرسل إليه مائتين من عتاق الخيل وخمسين جملا من المهاري والسبق، وألف درقة من جلود اللّمط [2].

د . استيراد الألبسة:

كما كان تجار المشرق يفدون إلى الأندلس بأصناف الأقمشة، فكان الأندلسيون يرتدون بعض الألبسة ذات الأصل التونسي، فيذكر الحميري أنه رأى عرساً في شوارع قرطبة وعلى رأس أحدهم قلنسوة وشي وعليه ثوب خز عبيدي[3]، كما كانت بالأندلس الأردية الإفريقية والمقاطع التونسية[4].

هـ . الذهب الخام:

وقد عرفت الأندلس تجارة واسعة في استيراد الذهب، فظل ذهب السودان يتدفق عليها من سبته وعبر تيهرت، وأصبح تجار قرطبة في ثراء عظيم بفضل هذا الذهب[5]، فكان يسبك في سجلماسة و أغمات[6] وفاس، ثم من هذه المدن يحول إلى الأندلس عبر موانئ البحر المتوسط[7]، وكان للأندلس دور مهم في توزيع هذا الذهب الخام عن طريق تجارها إلى المناطق الأخرى من حوض البحر المتوسط في القرن "4هـ/10م"[8]، كما كانت الأندلس تستورد التبر من غانة[9].

---

[1]- ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، صـ296.
[2]- ابن عذري، البيان المغرب، ج1، صـ175.
[3]- الحميدي، مختصر جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ،صـ126.
[4]- ابن الخطيب، الإحاطة، صـ140-141.
[5]- أرشيبا لدوليس، القوى البحرية والتجارية، صـ332.
[6]- ابن الخطيب، معيار الاختيار، صـ164.
[7]- عبدالله العروي، تاريخ المغرب، ج2، صـ71-73.
[8]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ253.
[9]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ45.

و. اللؤلؤ:

كانت إفريقيا تلعب دور الوسيط التجاري بين بلاد المشرق الإسلامي، وبلاد الأندلس في عملية المبادلات التجارية وخاصة في مادة اللؤلؤ، وهذا لأن التجار الأندليسون يفضلون اللؤلؤ المشرقي على غيره، وسواء كان كبيراً أم صغيراً [1].

ز . استيراد الرقيق:

كانت الأندلس منطقة عبور تجارية كبيرة ولذلك فقد راجت بها تجارة العبيد، فكان يجلب الرقيق الأسود من بلاد السودان؛ نظرا لرخصة وقوة تحمله للأعمال الشاقة، فهو مطلوب في الأندلس لاستعماله في الأعمال الزراعية، باعتبار الأندلس بلد زراعي، فكان بفاس الرقيق الذي يعبر الأندلس[2].

ح . واردات أخرى:

وكان يرد الصمغ السماوي من أودغشت، بحيث يستعمل في صبغ الديباج[3]، كما استوردت الأندلس أنياب الفيلة العاجية في فترة القرن "4هـ/10م"[4]، كما تم استيراد ريش النعام و درق اللّمط[5]، من السودان الغربي مقابل بعض المنتوجات الأندلسية الجاهزة التي تبادل بالسلع السودانية، كما كانت الأندلس تستورد الكثير من سواري الرخام من إفريقيا، فعند قيام الناصر بانجاز مشروع عاصمة الأندلس الجديدة، مدينة الزهراء، فكان عدد سواري الزهراء ما يقارب ألف وسبعمائة ساري، وقد جلب من إفريقيا وحدها ألف وثلاثة عشر سارية[6].

---

[1]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ252.
[2]- ابن الخطيب، معيار الاختيار، صـ178.
[3]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ168.
[4]- مورينو، مانويل جومث، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة عبد البديع، السيد محمود عبدالعزيز سالم، مراجعة: جمال محمد محرز، ب.ت، (القاهرة: المؤسسة المعربة العامة للتأليف)، صـ386.
[5]- الزهري، كتاب الجغرافيا، ج1، صـ84.
[6]- أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ب.ت)، صـ203.

ثانيا: العلاقات التجارية مع بلاد المشرق:

لم يقتصر التجار الأندلسيون على ربط علاقات مع المغرب القريب فحسب، بل تعدوها إلى أبعد من ذلك، فراحوا يتاجرون ويبادلون السلع مع بلاد المشرق عامة، فكان ميناء الإسكندرية بمصر منطقة عبور هامة بالنسبة للسفن الأندلسية، حيث كانت سفنهم تمر محملة بالسلع وكذلك الأشخاص من الحجاج والمسافرين وغيرها[1]. ونحن نعلم أن الكثير من المسافرين الحجاج كانوا بالإضافة إلى أداء هذه الفريضة، يعودون إلى بلادهم الأندلس محملين بمختلف المتاجر والسلع القليلة المفقودة بأسواق الأندلس[2]. ولم تقتصر العلاقات التجارية الأندلسية المشرقية على مصر فقط؛ بل تعدتها إلى غيرها كسوريا والعراق ومكة، واليمن و خرسان والصين والهند[3]، فتذكر كونستابل أن سوريا خلال القرن "4هـ/10م" كان ما ينتج بالأندلس يصدر إليها[4]، كما كانت المراكب ترسو في المرية القادمة من سوريا[5].

بالنسبة للعراق فكانت بعض المدن العراقية كالموصل[6] ذات شهرة واسعة لدى أهل الأندلس، فكانت مدينة صناعية وتجارية وملتقى للقوافل التجارية العبارة شرقاً وغرباً[7]، وكان وشي الكوفة يصل به التجار المشارقة إلى قرطبة[8]، وكان للأندلس علاقات تجارية مع مكة إذ كانت هذه الأخيرة قبلة للتجار وخاصة موسم الحج، الذي يعرف إقبالا كبيراً من طرف حجاج الأندلس على السلع اليمنية والحجازية، ويحمل حجاج الأندلس تجارتهم وبضائعهم إلى المشرق الإسلامي، ومن

---

[1]- خوان بيرنيط: هل هناك أصل عربي اسباني، صـ75.
[2]- ابن جبر، رحلة ابن جبير، صـ7-8.
[3]- الغرناطي، تحفة الألباب، صـ68.
[4]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ79.
[5]- المرجع السابق، صـ57.
[6]-الغرناطي، تحفة الألباب، صـ66.
[7]- محمد عبد الرحمن البكر، السلطة القضائية وشخصية القاضي في نظام الإسلام، ط1 (القاهرة: نشر الزهراء للإعلام العربي، 1408هـ)، صـ292-293.
[8]- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين3و4هـ، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1992م)، صـ87.

ذلك أن عبد الله بن مسرة[1]، كان ذا جاه عريض في مكة وكان أحد العلماء الأندلسيين التجار[2]، كما سلك البحر العديد من الحجاج المتجهين إلى مكة، واعتاد هؤلاء الحجاج استغلال هذه الرحلة في التجارة والحصول على فوائد جمة[3]، كما أقامت الأندلس علاقات تجارية مع الشرق الأقصى، كخرسان والهند فكانت تأتيها البضائع من هناك، لكن كما يظهر أن المسافة بعيدة ولذلك لم تكن هذه العلاقات متطورة كثيرا؛ نظرا لمشقة السفر ولم يكن من السهل الوصول إلى تلك المناطق وجلب السلع منها، فهي مهمة لم تكن متيسرة إلا لكبار التجار وأغنيائهم.

أما الهند وإن لم تقم علاقات تجارية رسمية مع الأندلس؛ فإن هذا لا ينفي قيام بعض التجار بعمل فردي، من ذلك ما حدث أيام الخلافة إذا قام ابن رماحس بأسر أربعة من الأساتذة اليهود في عرض البحر، إذ أرسلتهم أكاديمية سوارت surat في الهند لجلب إعانات اقتصادية من يهود اسبانيا[4]، كما قام أحد تجار الأندلس برحلة إلى المشرق في أواخر القرن "3هـ/ 9م" وبداية "4هـ/10م" ودخل إلى أرض الهند تاجراً[5]، وتروي رواية من نفس الفترة أن السفينة أبحرت من سيراف[6]، وعلى ظهرها جمهور من التجار من كل البلاد، فجنحت في بحر الصين وأوصلها إلى بر السلامة حكمة شيخ مسلم أصله من قادس الأندلسية[7]، كما نقرأ عن تاجر اسمه أبو محمد بن معاوية المرواني، الذي غادر بلده قرطبة إلى الشرق حاجاً أواخر القرن "3هـ/9م" وبعد أن أكمل رحلة الحج رحل في التجارة إلى بغداد والكوفة والبصرة ثم إلى الهند، وبعدها قفل راجعا إلى وطنه

---

[1]- ابن حيان، المقتبس، صـ34-36.
[2]- أبو الوليد عبدالله الأزدي ابن الفرض، تاريخ علماء الأندلس، ج2، ط1،ت.وحبة عبد الرحمن السويفي، (بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، 1997م)، صـ376-377
[3]- خوان بيرنيط، هل هناك أصل عربي، صـ75.
[4]- المصدر السابق ، صـ72-73.
[5]- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2، صـ733-735.
[6]- المنجد اللغة والإعلام ، (دار المشرق بيروت، ط17، 1991م)، صـ230.
[7]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ1063.

الأندلس بعد أن جمع ثلاثين ألف دينار، وفي طريق عودته غرقت السفينة في المحيط الهندي أوالبحر الأحمر، وبعد ذلك بثلاثين سنة عاد ليدرس في قرطبة وهو خالي الوفاض[1].

- **الصادرات الأندلسية إلى بلاد المشرق:**

. المنتوجات الزراعية:

لقد عرفت الأندلس فائضا كبيراً في بعض المنتوجات الزراعية؛ وهذا لخصب أرضها وتوفر ظروف الزراعة بها، واشتملت هذه الصادرات على الفواكه الجافة والمواد الخام ومن ذلك التين والزبيب.

أ . تصدير التين والزبيب:

كان التين يحتل موقعا متقدما في فائضة الصادرات الأندلسية، فالتين كان يجلب من أحوازها إلى بلاد المشرق[2]، وكان تين مالقة على وجه الخصوص يمتاز بالجودة والطيبة والعذوبة، ولذلك كان من الصادرات الأندلسية الأساسية التي لاقت رواجا في مختلف الأنحاء، ومن بينها البلاد المصرية[3] فكان يحمل من مدينة مالقة إلى جميع البلاد المصرية، وكانت مراسيها معدة للحط والإقلاع محملة من سلعها ومن بينها، التين المالقي. كانت بلاد الشام والعراق تتلقى مثل هذه البضائع، عن طريق تجار تلك المناطق أو عن طريق تجار الأندلس أنفسهم، فكان التين يحتل موقعا متميزاً في قائمة الصادرات الأندلسية، ويحمل من مدينة مالقة إلى بلاد الشام والعراق، يقول المقري: " ولقد أخبرت أن التين البري المنسوب إلى مالقة يباع في بغداد على جهة الاستطراف،

[1]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ1063.
[2]- المقري، نفح الطيب، ج1، صـ152.
[3]- المصدر السابق، صـ152.

وأما ما يسفر منه المسلمون على المراكب البحرية فأكثر أن يعبر عنه بما يحصره"[1]، فكان تين مالقة من الصادرات الأساسية التي لقيت رواجا في مختلف الأنحاء.

ب . تصدير زيت الزيتون:

ومن الصادرات المهمة نحو البلاد المصرية، تجد زيت الزيتون، إذ كان من أهم الحاصلات التي عرفت فائضا بالأندلس وخاصة باشبيلية، فقد استغنى أهل اشبيلية من التجارة بزيت الزيتون، فكانت جل تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق براً وبحراً[2]، وذكر الزهري أن ميناء الإسكندرية كان من بين الأماكن التي تتلقى الزيت الاشبيلي[3]، ومن بين مناطق المشرق الإسلامي التي صدّر نحوها سوريا والعراق وغيرها من المناطق المجاورة لها، كما وصلت كمية منه إلى مدن الحجاز واليمن، وامتاز هذا الزيت بجودته العالية وبكمياته الكافية، وذكر الرازي أنه إذا لم تصدر اشبيلية زيت الزيتون؛ فسيكون هناك فائضا يستحيل تخزينه وبالتالي سيتلف[4].

ج . مواد الصباغة:

كانت مواد الصباغة من الصادرات الأندلسية المهمة كعصفر اشبيليا، عصفر لبلة[5]، كان زعفران الأندلس يطلب في جميع الأوقات وكما يقول البكري: "أن زعفران طليطلة، هو الذي يعم البلاد، ويتجهز به إلى الآفاق"[6]، والقرمز الأندلسي الذي صدر إلى عدة جهات لجودته، وذكر البكري أن أفضل القرمز هو القرمز الأندلسي، ويأتي معظمه من مناطق اشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية، وقد صدّر إلى الآفاق[7].

---

[1]- المقري، نفح الطيب، ج3، صـ219.
[2]- الحميري، الروض المعطار، صـ18-19.
[3]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ275.
[4]- المرجع السابق، صـ174.
[5]- العذري، نصوص الأندلس، صـ96.
[6]- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ج2، صـ394.
[7]- المرجع السابق، ج2، صـ385.

وربما استوردت مصر منه بعض الكميات نظراً لاعتمادها عليه في صناعة النسيج القطني[1].

د . المنسوجات الحريرية:

لقد كان لتصدير الحرير الأندلسي أهمية خاصة في التجارة الأندلسية، فكانت هذه السلعة تصدر إلى البلاد المصرية، فهناك مراكب أندلسية وتجاراً واصلين إلى الإسكندرية مع حرير قادم مباشرة من الأندلس، من دون وساطة تاجر تونسي[2]، إن كثرة وجودة الحرير الأندلسي جلب الكثير من التجار الأجانب إليها، فكان بالمرية دار الصنعة وكان يعمل بها ويصدر جميع ما يصنع من الوشي السقلاطوني والبغدادي، وسائر أجناس الديباج والحلل الرفيعة القدر الكثيرة الأثمان[3]، فالمرية قصدها التجار لشراء الحرير وما يعمل فيها من السُّتور[4]. فكانت إذاً المنسوجات الحريرية الأندلسية مشهورة ولاسيما الوطاء البسطي من الديباج الذي لا يعلم له نظير في العالم[5]. وكذلك كان من صادرات الأندلس البز؛ وكان لهذه المادة قيمة عظيمة في ذلك الوقت، وهذا يدلنا على الأهمية التجارية للأندلس إذ كان الاتجار بالبز غاية يطمح إليها المشتغلون بالتجارة في العالم الإسلامي، فكانت الأندلس تصدر العديد من أنواع الطراز إلى مصر[6].

كما كانت الأندلس تصدر نحو بلاد العراق البز والأقمشة الحريرية والقطنية [7]، وكان حرير غرناطة يصدر إلى كل بلدان المشرق[8]، فيقول ابن الخطيب عنها: " وكفى بالحرير الذي فضلت به فخراً، فهو ذو غلة شريفة، وفائدة عظيمة تمتاره منها البلاد، وتجلبه الرفاق، وفضيلة لا يشاركها

---

[1]- كونستابل،التجارة والتجار، صـ264.
[2]- المرجع السابق، صـ265.
[3]- ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، صـ283-284.
[4]- الدمشقي، نخبة الدهر، صـ243.
[5]- ابن الخطيب، خطرة الطيف، صـ31.
[6]- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، (بيروت: دار صادر افست لبدن، 1889م)، صـ153.
[7]-عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط3، (لبنان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1995م)، صـ163.
[8]- كمال السيد، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، (الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب)، د.ت، صـ342.

فيها إلا البلاد العراقية"[1]، ويشير الأصطخري إلى وجود مادة الحرير ضمن الصادرات الأندلسية إلى بلاد المشرق[2].وكما اختصت المرية وقرطبة ومالقة ومرسيه بالوشي المذهّب، الذي يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق إذا رأوا منه شيئا، كما كانت البسط المرسيه يغالي في ثمنها بالمشرق[3]، وكانت الأندلس تصدر العديد من أنواع الطراز إلى خرسان[4]، وكانت الأندلس كذلك تصدر العديد إلى بلاد الدليم جلود القنليات وجلود الثعالب السود[5].

هـ . الصادرات الكتانية والقطنية:

صدرت الأندلس العديد من الألبسة والأقمشة الكتانية إلى مصر، رغم اشتهار مصر بها منذ القدم، فكانت الأندلس تصدر الأردية المعمولة في بجانة إلى مصر[6]، كما صدرت الأندلس العديد من الألبسة والأقمشة الكتانية إلى مكة واليمن، فكانت تصدر الأردية المعمولة في بجانة إلى هاتين العاصمتين[7].

ومن أهم السلع التي قامت الأندلس بتصديرها إلى بلاد الشام والعراق نجد القطن، فرغم أنه من المحاصيل الطارئة على الأندلس من بلاد المشرق، إلا أنها أصبحت من أوائل البلدان المصدرة له مع القرن الرابع الهجري، فلقد صدرت كميات كبيرة من القطن إلى بلاد الشام والعراق، وكانت اشبيلية من أهم المدن الأندلسية المصدرة للقطن حيث كانت تنتج كميات وافرة فهو يجود بأرضها فيعم بلاد المشرق[8].

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، صـ105.
[2]- أبو إسحاق إبراهيم محمد الأصطخري، المسالك والممالك، ت.محمد جابر عبد العال، (القاهرة، 1961م)، صـ37.
[3]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، صـ218-219.
[4]- ابن حوقل، صورة الأرض، صـ103.
[5]- الزهري، كتاب الجغرافيا، صـ66.
[6]- المالكي أبوبكر، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيا، ج2، ت.البكوش، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982م)، صـ445.
[7]- المصر السابق ، ج2، صـ20-21.
[8]- الحميري، الروض المعطار، صـ20-21.

و . تصدير التحف الفخارية والخزفية:

ومن الصادرات الأندلسية في مجال الصناعات ذات الأهمية الاقتصادية بالأندلس نجد الفخار، فكان بمالقة والمرية الفخار ذو النوعية الرفيعة، وهو الفخار المذهب الذي لا يوجد مثله وكان يجلب إلى أقاصي البلاد[1]، وقد كان الفخار والخزف يصدر إلى مصر حيث قدمت بقايا خزفية من أنماط مشابهة لخزف الأندلس في القرن "4هـ/10م" وعثر على كسر خزفية أندلسية في حفائر القاهرة تعود للعصر الفاطمي[2]، وكان هناك الفخار المزجج المذهب ، كما كان يصنع نوع من المفصص المعروف في المشرق، كما صنعت الفسيفساء التي تبسط بها قاعات الديار وهو ما يعرف بالزلجي، وكان يصدر إلى المشرق حيث يصرفه هؤلاء في زخرفة بيوتهم، كما اختصت مدينة أندراش بالفخار الذي لا يوجد في الدنيا مثله للطبخ [3].

ز . تصدير خشب الصنوبر والسفن:

كان الخشب في العصور الوسطى من المواد التي يكثر عليها الطلب في مختلف أسواق العالم وهذه لاحتياجه في صناعة السفن الحربية وغيرها فكانت الأندلس تنتج كميات كبيره منه، وعلى رأس هذه المدن إنتاجاً وتصديراً طرطوشة، التي كانت باباً من أبواب البحر، التي يسلكها التجار في كل ناحية وكان بها شجر البقس وخشب الصنوبر[4]، فكان خشب طرطوشة لا نظير له بطوله وصلابته ويؤخذ لعمل الصواري وأعواد الشراع، وقد نقل إلى جميع بلدان العالم القريبة والبعيدة [5].

---

[1]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، صـ218-219.
[2]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ285-286.
[3]-القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، صـ221.
[4]- ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، صـ285-286.
[5]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ294.

ح . تصدير الدواب والمواشي:

كانت الأندلس تتربع على ثروة حيوانية كبيرة ذات جودة عالية، نظرا لمناخها الملائم، فكان يجهز من الأندلس نحو بلاد المشرق الخيول النفيسة من البراذين والبغال الفارهة والغنم والبقر وجميع الحيوان الرخيص[1]، وعرفت ميورقة بإنتاج نوع وفصيلة جيدة من البغال، ويضيف ابن حوقل أن بالأندلس البغال الفره و بها يتفاخرون ويتكاثرون، ولهم منها نتاج ليس كمثله في معادن البغال[2].

ط – تصدير المواد المعدنية:

وكان يتجهز من الأندلس بصفة عامة الحديد والرصاص والذي ينقل إلى بلاد المشرق الإسلامي[3]، كما كان يصدر إلى العراق أجود أنوع النحاس و الزئبق[4].

وكذلك الصادرات نجد المرجان بحيث كان يستخرج من ساحل مدينة بيليش ساحل ألبيرة من عمل المرية وبكميات كبيرة، الظاهر أنها كانت تعد للتصدير إلى الخارج فكان في أقل من شهر يستخرج نحو ثمانين قنطارا بمدينة منورقة[5]، كما كان يستخرج معدن الطفل من جبل طليطلة، منها يجهز ويصدر إلى بلاد العالم، لفضله وجودته على كل طفل بالمشرق[6]، كما كان يتجهز من الأندلس بصفة عامة بالحديد والرصاص والذي ينقل إلى بلاد المشرق الإسلامي[7]، كما كان يتجهز من بلاد الأندلس نحو بلاد الهند بصفة عامة بمادة الكبريت الأحمر، الذي يصل إلى أقاصي بلاد العالم وخاصة إلى بلاد الهند[8].

---

[1]- ابن حوقل، صورة الأرض، صـ97
[2]- المصدر السابق ، صـ114.
[3]- الدمشقي، نخبة الدهر، صـ242.
[4]- الدوري، تاريخ الأندلس الاقتصادي، صـ163.
[5]- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب، ج2، صـ385.
[6]- ابن حوقل، صورة الأرض، صـ117.
[7]- الدمشقي، نخبة الدهر، صـ97.
[8]- الزهري، كتاب الجغرافيا، صـ81.

- الواردات الأندلسية من بلاد المشرق:

أ. العطور والتوابل:

كانت الإسكندرية باب المغرب والأندلس نحو المشرق، ولذلك كان يجلب منها إلى الأندلس منتجات الهند والسند والعراق، وخاصة من بعض المواد العطرية والتوابل[1]، فاستوردت التوابل من المشرق عن طريق التجار الأوروبيين من بيزة و جنوة والبندقية، فكانت مراكب الإفرنج تصعد بوسقها إلى اشبيلية[2]، كما كانت مكة واسطة وطريق تجاري هام يربط بين الأندلس والشرق الأقصى، ولذلك كان يجلب منها إلى الأندلس منتجات الهند فيقول الزهري: "أنه كان يجلب من مكة إلى الغرب الإسلامي كل ما يخرج من بلاد الهند خاصة بعض المسك والعود[3]، واستوردت غرناطة التوابل والعطور من الهند[4]، ثم جلب ماء الورد من بلاد فارس[5]، كما تم استيراد المناديل وبر السمندل من بلاد غزنة [6].

ب . اللؤلؤ :-

بها كان اللؤلؤ المشرقي يأتي إلى بلاد الأندلس، وهذا لأن التجار الأندلسيون يفضلونه على غيره، سواءاَ أكان كبيراً أم صغيراً[7].

ج . الكتب :-

في فترة حكم المستنصر راجت تجارة الكتب بحيث أقام للعلم سوقا نافقة، وجلبت إليه بضائعه من كل قطر، فكان الحكم يبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجال من التجار، ويرسل إليهم الأموال لشرائها حتى جلب إليهم بالأندلس ما لم يعهدوه، فكان يشتري بعض الكتب من مؤلفيها،

---

[1]- كمال السيد، تاريخ الأندلس الاقتصادي، صـ347.
[2]- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، صـ168.
[3]- الزهري، كتاب الجغرافيا، صـ36.
[4]- أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، د.ت (الاسكندري: مؤسسة شباب الجامعة)، صـ283.
[5]- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ج2، صـ17.
[6]- الزهري، كتاب إفريقيا، صـ15.
[7]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ21.

قبل أن تخرج إلى أسواقهم وتظهر بالأندلس، كما فعل مع أبو فرج الأصفهاني في كتابه الأغاني بالعراق ومع القاضي الأبهري المالكي، لمختصر ابن عبد الحكم، وبذلك اجتمع له من الكتب ما لم يجتمع لأحد من قبله ولا من بعده[1].

ثالثا: العلاقات التجارية الأندلسية الأوروبية:

لقد ربطت الأندلس علاقات تجارية واقتصادية مع أوروبا المجاورة لها، ولكن بالرغم من قرب المسافة إلا أن هذا التبادل كان ضعيفا نوعاً ما، وهذا نظرا للصراع الديني القائم بين الأندلس ومختلف البلدان الأوروبية، ولكن شهدت بعض الفترات استتباب الأمن والسلام، وخاصة فترة القرن "4هـ/10م" إذ عرفت فيها الأندلس وكسبت هيبة وقوة عالميتين، استطاعت من خلالهما أن تكسب ود جيرانها فأصبحت السفن العالمية الأوروبية في حط وإقلاع بين موانئ الأندلس وغيرها"[2]. فالمرية أصبحت محط لمراكب النصارى من جنوبيين[3]، وبيزيين وبنادقة و قطلانيين وأراغويين[4]، كما عرفت بلاد افرنجة بعض فترات القحط وقلة الزراعة، فكان هؤلاء مدفوعين إلى الرحلة والتجارة، وكان بذلك معاشهم على والتجارات والصناعات[5]، فهذا الجذب والفقر الذي ساد أوروبا أدى بهم إلى الاندفاع جنوبا وخاصة نحو الأندلس القريبة للبحث عن لقمة العيش[6]، كما عم الفقر والجدب الكثير من المناطق الأوروبية، فاضطرت بذلك إلى البحث عن مصادر العيش الأخرى، فكانت التجارة أحسن سبيل لتخفيف الضغط على هذه المناطق.

---

[1]- الضبي، بقية الملتمس، صـ21.
[2]- محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، حتى أواخر القرن العاشر الميلادي، ب.ط، (دون بلد- مؤسسة الثقافة الاجتماعية 1981م)، صـ180-186.
[3]- المنجد في اللغة والأعلام، صـ138.
[4]- الحميري، الروض المعطار، صـ12.
[5]- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، صـ576.
[6]- مؤنس، الأوضاع السياسية والاقتصادية، صـ125.

وقد وجدت عدة منافذ لها فيذكر البكري أن مدينة بنبلونة كانت مملكة لغرسيه بن شانجة سنة "330هـ/941م"[1]، وكانت بلد جبال وشعاب قليلة الخيرات وأهلها فقراء جاعة[2]، كما كانت منورقة[3] المدخل الذي يعرف بالأبواب وهو المدخل إلى الأندلس من الأرض الكبيرة على بلد افرنجة[4]، وكانتا طلبيرة وتطيلة من ثغور المسلمين التي يدخل منها إلى بلاد المشركين[5]، فهذه المدن الثغورية أصبحت بمثابة المحطات التجارية التي ربطت بين الأندلس وبعض مناطق أوروبا في أوقات السلم، كما كنت مناطق الخطر في أيام الحرب من ناحية الحدود البرية.

ومن هنا تظهر الأطماع الأوروبية في خيرات الأراضي الأندلسية، وكذلك نستطيع أن نفهم من خلال القلق الشديد المصحوب بالندم للحاجب المنصور ابن أبي عامر فقال عند دنو أجله: " أنه يستحق الإحراق بالنار من المسلمين لأنه عندما استولى على أراضي تابعه للممالك النصرانية،عمرها بالأقوات من كل مكان ووفر لها المؤن، ووصلها ببلاد المسلمين وحصنها غاية التحصين، فاتصلت العمارة بين الأندلس الإسلامية والممالك النصرانية فتمنى لو أنه خرب تلك البلاد مسيرة عشرة أياما وحيّلها فيافي قفار، حتى لا يصل النصارى إلى بلاد المسلمين إلا بمشقة كبيرة، ومن ثم يتم الدفاع وانقاد البلاد من خطرهم"[6]. أما بحراً فقد شهدت بعض الفترات ظهور جمهرة من المجاهدين (القراصنة) المسلمين ويغلب الظن أنهم أسبان أندلسيين في سواحل فرنسا، وكانت تصل غاراتهم حتى سويسرا و المباردیا[7]، وحتى إلى بعض المدن الإيطالية، ونتيجة لهذا فقد توقفت كل ألوان التبادل التجاري عن طريق الموانئ البحرية بين الأندلس وبلاد الفرنجة، وهذا ما أجبرهم على عقد تحالف مع المسلمين للقيام بمشروعات تجارية بحرية، وكادت أساطيل الخلافة

---

[1]- عنان، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني دول الطوائف، صـ378.
[2]- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا المغرب، ج2، صـ379.
[3]- الإدريسي، القارة الإفريقية، صـ308.
[4]- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا المغرب، ج2، صـ383.
[5]- المصدر السابق،ج2، صـ395.
[6]- أبو مروان بن الكردبوس، تاريخ الأندلس أو الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ت.احمد مختار العبادي، (مدريد: مجلة العهد المصري للدراسات الإسلامية)، عدد 13، صـ64-65.
[7]- المنجد في اللغة والأعلام، صـ500.

الأموية خلال القرن (4هـ/ 10م) وأساطيل مجاهد صاحب دانية بعد ذلك، أن تدحر الأساطيل الأوربية فقامت بحماية التجارة الأندلسية في تلك الفترة[1].

ولكن بالرغم من هذا العداء إلا أنه في بعض الفترات كانت موانئ الأندلس غاصة بمراكب النصارى فكانت مراكب الفرنج تصعد في النهر الكبير بوسقها إلى اشبيلية[2]، وسلكت بعض التجارة طريقها إلى جنوب فرنسا عن طريق وادي الرون الأعلى، فظلت فردان طول ذلك الوقت مركزا كبيرا لتجارة الخصيان مع مسلمي ويهود الأندلس[3]، وكان هذا يتم عن طريق تبادل السلع التي تحتاجها أوروبا حسبما يظهر، وكانت المرية مجتمع ديوانهم وتصدر منها البضائع إلى مختلف بلادهم[4]، كما أن ساحل مالقة كان محطة تجارية لمراكب النصارى[5]، ومدينة المنكب كانت مرفأ للسفن و محطها، ومنزل عبّاد الصليب ومختطها[6]، وبهذا جذبت الأسواق الأندلسية التجار المسيحيين من شمال اسبانيا ومناطق أخرى من أوروبا على حد تعبير كونستابل[7]،كما توطدت الصلات والتبادل الدبلوماسي بين الإمبراطورية البيزنطية والأندلس في فترة الخلافة خاصة، فيقول عبد الواحد المراكشي عن عصر عبد الرحمن الناصر: "فهابته ملوك الروم فأرسلوا الرسل والهدايا، يخطبون وده ويطلبون مهادنته، وكان فيمن قدم عليهم منهم رسل صاحب القسطنطينية في سنة "336هـ/ 947م"[8]، لكنها لم تكن على علاقات تجارية كثيفة، نظراً لبعد المسافة بين البلدين ووجود المخاطر بطريق البحر. فكما تذكر كونستابل أنه يوجد هناك القليل من الأدلة على وصول بضائع أندلسية إلى القسطنطينية، ولكنها كانت تميل إلى هدايا سياسية دون أن ترقى إلى بضائع تجارية

---

[1] مؤنس، الأوضاع السياسية والاقتصادية، صـ95.
[2] ابن سعيد، الجغرافيا، صـ168.
[3] محمد صناوي، جوانب من العلاقات الاقتصادية والبشرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط قبيل القرن1م، عن كتاب الغرب الاسلامي والغرب المسيحي، ط1، جمع محمد حمام، (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الهلال للطباعة والنشر)، صـ159.
[4] ابن سعيد، الجغرافيا، صـ140.
[5] المقري، نفح الطيب، ج3، صـ219.
[6] الطوخي، مظاهر الضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، صـ281.
[7] كونستابل، التجارة والتجار، صـ83.
[8] المراكشي، المعجب، صـ55.

[1]، لكن حسبما يبدو أن العلاقات مع الإمبراطورية البيزنطية كانت تقوم بها الوساطة الإيطالية، فقد نشط تجار نابلي في القيام بهذا الدور الهام، فقاموا بتصدير العبيد ومنسوجات القسطنطينية مقابل زيت الزيتون والسلع التي يأخذنوها من الأندلس . وقد حاول هؤلاء الوسطاء التوفيق بين مصالحهم التجارية المتمثلة في الأرباح واحترام التشريعات والقوانين التي تحاول منع التبادل التجاري، في بعض البضائع الإستراتيجية في تلك الفترة، كالأسلحة والعتاد الحربي والأخشاب والحديد، والقمح والعبيد والخيول، وغيرها من السلع[2]، فاقتصرت المبادلات على بعض السلع الكمالية، فكان عبد الرحمن الناصر يستورد الفسيفساء من القسطنطينية[3]، كما أهداه إمبراطور بيزنطة مائة وأربعين سارية من سواري الرخام عند قيامه ببناء مدينة الزهراء[4]. لكن مهما تكن هذه العلاقات السياسية فإنها لا تخلو من مصالح اقتصادية وتجارية تخدم البلدين، وهذه الدوافع الأخيرة عادة ما تكون خفية، ولكنها في واقع الأمر أساسية و قد تكون هي بالذات الدوافع الحقيقية لتوطيد الصلات السياسية وحفظ الأمن بين البلدين، وهذا ما يقوله ابن حيان إذ يذكر أن وفداً دبلوماسيا وتجارياً وصل إلى قرطبة قادما من أمالقى، في حين أن الرحالة الأندلسي ابراهيم بن يعقوب[5] وصل إلى مانين، وإلى قرى أخرى في شمال أوروبا[6].

[1] كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي، (95هـ/ 495هـ)، (مصر: مركز الإسكندرية للكتاب، د.ت)، صـ277.
[2] ارشبيالد لويس، القوى البحرية والتجارية، صـ271.
[3] رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية، صـ477.
[4] أحمد فكري، قرطبة في العصر الاسلامي تاريخ وحضارة، صـ203.
[5] حسين مؤنس، الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس، صـ272-373.
[6] كونستابل، التجارة والتجار، صـ87.

- **الصادرات نحو البلاد الأوروبية:**

. المنتوجات الزراعية:

ونتيجة لتأخر دول أوروبا النصرانية في الصناعة والزراعة نتيجة النظام الإقطاعي الذي كانت تعيشه، فقد قامت تجارة رائجة بينها وبين الأندلس، وخاصة في أوقات السلم و كان التبادل التجاري يشتمل على بعض الفواكه الجافة وبعض المواد الخام منها:

أ . التين وزيت الزيتون واللوز:

والذي كان يحتل موقعا متقدما في قائمة الصادرات الأندلسية، فهو يحمل من مدينة مالقة، إلى البلاد النصرانية، فيقول المقري: "والتين البري المنسوب إلى مالقة يسفر منه النصارى على المراكب البحرية بأكثر من أن يعبّر عنه بما يحصره"[1].وكانت بهذا مراسي مالقة معدة للحط والإقلاع محملة من سلعها ومن بينها التين المالقي[2]، فكان إذاً تين مالقة يمتاز بالجودة وبطيبه وعذوبته ولذلك صار من الصادرات الأندلسية الأساسية والتي لاقت رواجا في مختلف الأنحاء[3]، كما كانت مالقة تصدر اللوز إلى بلاد الروم[4]. وكان زيت الزيتون من أهم الصادرات الأندلسية نحو البلاد الأوروبية، فقد وصل التجار الإيطاليين إلى الأسواق بحثا عن المنتوجات المحلية ومن بينها زيت الزيتون الإشبيلي[5]، فذكر الزهري أن بلاد الروم كانت من بين الأماكن التي تتلقى الزيت الإشبيلي[6].

---

[1]- المقري، نفح الطيب، ج3،صـ219.
[2]- المراكشي، المعجب، صـ74.
[3]- المقري، نفح الطيب، ج1، صـ152.
[4]- الزهري، كتاب الجغرافيا، صـ93.
[5]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ1064.
[6]- المرجع السابق، صـ275,

ب . السكر:

ومن المحصولات الأندلسية المصدرة الأخرى هناك السكر، فكانت ألبيرة تنتج منه كميات كافية[1]، وكذلك مدينة شلوبين والمنكب، التي يحمل منها إلى سائر البلاد[2]، وكما ساهمت اشبيلية في إنتاج هذه المادة وكانت تقوم بتصدير الفائض منها، وكان السكر من المواد المعدومة في الأقاليم الباردة[3] ولذلك فربما كان ينقل إلى مناطق شمال أوروبا الباردة.

ج . التوابل والبخور:

كان لليهود دور مهم وأساسي في عملية المبادلات التجارية، التي كانت تقوم بين بلاد الأندلس وأوربا، فكما يقول حسين مؤنس: "إن اليهود كانوا يتسربون إلى أوروبا عن طريق الأندلس حاملين ما خف وغلا من الحاجات، فكانوا يقدمون للكنائس ما كانت تحتاج إليه من بخور الهند والأندلس وغيرها وكذلك الفلفل، وكان من أغلى حاجات العصر حتى إن الناس كانوا يستعملونه أساسا لحاجات تلك الفترة[4].

د . الورق الشاطبي:

كان الورق الشاطبي من أجود أنواع الورق، ولذلك كان الطلب عليه كبيرا في الأسواق العالمية آنذاك، فكانت شاطبة تصدر ورقها إلى كامل البلاد الأوروبية الغربية ، وبأثمان معقولة قابلة للمنافسة الخارجية مع الكاغد العراقي والمصري والدمشقي[5].

---

[1]- القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، صـ205.
[2]- القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، صبح الأعشى، صـ218.
[3]- المقري، نفح الطيب، ج1، صـ208.
[4]- حسين مؤنس، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، صـ127.
[5]- باشا نجاة ولذن سوسي، التجارة في المغرب الإسلامي من ق4إلى ق 8هـ، (تونس منشورات الجامعة التونسية، 1976م)، صـ50.

هـ . المنسوجات الحريرية:

وكان النصارى يفضلون الملابس العربية التي كانوا يستوردونها من الأندلس[1]، وكان على رأس الملابس التي اشتهرت بها الأندلس وقامت بتصديرها إلى مختلف مناطق العالم (الحرير)، فتصديره كان له أهمية بالغة في التجارة الأندلسية[2]، يشير الأصطخري إلى وجود مادة الحرير ضمن الصادرات الأندلسية إلى بلاد الفرنجة[3]، كما وصلت بعض المنسوجات والجلود القرطبية إلى بعض المدن الإيطالية[4]. وكان الغرب المسيحي يستورد من الأندلس مباشرة الأقمشة الثمينة، وخاصة مادة القماش المسماة في الوثائق الكنيسة المسيحية بـ "spaniscum"[5]، لكن يظهر من كل هذا أن تصدير المنسوجات إلى البلاد الأوروبية كان قليلا، وهذا ما تؤكده كونستابل إذ تقول: " أن الإشارة إلى وجود المنسوجات الأندلسية في البلاد الأوروبية(المسيحية) نادر، ويعلل ذلك بأن هذه الفترة كانت مكرسة لإنتاج الطراز الملكي، ومنسوجات مهيأة للتصدير إلى دار الإسلام.

و . المصنوعات الخزفية:

لا شك أن ما بلغه فن الخزف المزخرف في العصر الأموي يعد أمرا رائعاً، فقد تجاوز في قيمته الفن المسيحي الأوروبي، بما في ذلك الفن البيزنطي الشديد الافتقار إلى الإبداع والصنعة الفنية، وهذا ما يسوغ احتمال ازدهار تجارة الصادرات في مثل هذه البضائع مع البلدان الأوروبية، وقد ثبت وجود أوان خزفية في صقلية ومالطة[6]، فكان بمالقة والمرية الفخار ذو النوعية الرفيعة، وهو الفخار المذهب الذي لا يوجد له مثيل، وكان يجلب إلى أقاصي البلاد[7]، ويلاحظ وصول

---

[1]- رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا، صـ473.
[2]- سامية سعد، العلاقات بين المغرب والأندلس، صـ171.
[3]- الأصطخري، المسالك والممالك، صـ37
[4]- أوليفا ريمي كونستابل،التجار المسلمون في تجارة الأندلس، عن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت)، ط2، ص1064.
[5]- حناوي، جوانب من العلاقات الاقتصادية البشرية، صـ158.
[6]- مورينو، الفن الإسلامي في اسبانيا، صـ369.
[7]- أبو عبدالله محمد بن أحمد ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، رحلة ابن بطوطة، ج2، ط1، (1322هـ)،ص768.

التجار الإيطاليون إلى الأسواق الأندلسية بحثا عن المنتوجات الخزفية المحلية [1]، وقد كان الفخار والخزف يصدر إلى أوروبا حيث عثر على ثلاث مراكب عربية غارقة في شاطئ البروفانس[2] Provence. كما قدمت بقايا خزفية من أنماط مشابهة لخزف الأندلس في القرن (4هـ/10م)[3].

ز – الخشب:

كان الخشب في العصور الوسطى من المواد التي يكثر عليها الطلب في مختلف أسواق العالم، وهذا لاحتياجه في صناعة السفن الحربية وغيرها، فكانت الأندلس تنتج كميات كبيره منه، وعلى رأس هذه المدن إنتاجا وتصديراً (طرطوشة)، و كورة جيان[4]، فكان خشب طرطوشة لا نظير له بطوله وصلابته، يؤخذ لعمل الصواري وأعواد الشراع، وقد نقل إلى جميع بلدان العالم القريبة والبعيدة[5]. كما كانت شلب في جنوب غرب الأندلس مطوقة بالغابات، وتنتج كميات كبيرة من الخشب الذي يصدر في جميع الاتجاهات، والذي يصنع منه سفن كثيرة[6]، وقد نقل الخشب الأندلسي إلى الخارج على هيئة رزم أو قطع معدة للصناعة.

لكن نظرا لأهميته الإستراتجية، ظهرت هناك فتاوى تحد من تصدير هذه المادة إلى أوروبا النصرانية لاستعماله كسلاح ضد المسلمين، فاعتمد الونشريسي على كتاب ابن رشد التجارة إلى أرض الحرب، ليورد نوازل متعددة مرتبطة بتحريم كل ما له علاقة بدار الحرب، وكل ما من شأنه أن يفيد الكفار النصارى ضد المسلمين[7]، خاصة إذا علمنا أنه في بعض الأحيان كان يصدر في شكل مراكب جاهزة الصنع، والظاهر أن هذه المراكب كان يصدر الفائض منها إلى باقي بلدان العالم.

---

[1]- كونستابل، التجار المسلمون، صـ1064.
[2]- المنجد في الإعلام، صـ124.
[3]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ285-286.
[4]- المرجع السابق ، صـ284.
[5]- المرجع السابق، صـ284.
[6]- المرجع السابق، صـ295.
[7]- أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقيا و الأندلس والمغرب، ج2، ط1، (المغرب: دار الغرب الإسلامي، 1981م)، صـ124-126

كما ظهرت كذلك النداءات المتكررة من أساقفة أوروبا بالمقابل للحد من تصدير خشب أوربا نحو البلدان الإسلامية [1].

ح . الصادرات المعدنية:

أما المعادن فقد أمدت الأندلس بلاد النصارى بكثير منها، ومن أهمها معدن الزئبق، بحيث كانت قرطبة على رأس مدن الأندلس إنتاجا وتصديرا لهذه المادة وخاصة بفحص البلوط، وبجبل البرانس، ومنه يتجهز إلى الآفاق[2]، فكان الزئبق يحمل إلى بلاد الفرنجة[3]، وقد كانت الصناعة الأندلسية متفوقة حتى إن نصارى قشتالة كانوا يفضلون سيوف اشبيلية على سيوف مدينة بوردو، التي تسميها الرواية العربية برذيل، أو السيوف البرذاليات، فقد جاء في وصية أحد قادتهم: "أوصى أيضا بسيفي القشتالي الذي صنع في اشبيلية ووضع مقبضه بالذهب ونفيس الجواهر"[4].

- الواردات الأندلسية من البلاد النصرانية:

أ . العطور والتوابل:

استوردت الأندلس التوابل والعطور المشرقية عن طريق التجار الأوربيين من بيزة و جنوة والبندقية، فكانت مراكب الإفرنج تصعد بوسقها إلى اشبيلية محملة بمثل هذه البضائع[5].

ب . معدن الحديد والنحاس:

أما فيما يخص المعادن فكانت الأندلس دائما في حاجة ماسة إلى المعادن الموجودة بوفرة في بلاد النصرانية، فاستوردت الحديد ذو النوعية الجيدة والمعروف بالشلق من مملكة قشتالة، وهو

---

[1]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ296.
[2]- أبوبكر أحمد بن إبراهيم ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، (مطبعة لبدن،بريل 1885م)، صـ87.
[3]- الحميري، الروض المعطار، صـ01.
[4]- رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا، صـ473.
[5]- ابن سعيد، الجغرافيا، صـ168.

حديد أسود كانت تصنع منه الآلات الحربية[1]، كما استوردت السيوف الجاهزة من بلاد أوروبا وخاصة الإفرنجية منها، وهي السيوف البرذاليات، نسبة إلى مدينة بوردو، خاصة أنها كانت ذات نوعية جيدة تفوق سيوف الهند[2] أما النحاس والقصدير فكانت تجلبهما الأندلس من إنكلترا وإرلندة[3].

ج . الألبسة:

كانت الأندلس تستورد بعض الألبسة، كثياب الملف الذي اختصت بصناعته فنلندة[4]، وهي ثياب حسنة العمل من الصوف، متقنة الصنع حتى تباهي ثياب الخز، وقد أشار ابن حيان إلى مجيء التجار الملفيين إلى قرطبة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر طلبا للتجارة بما لديهم من القماش المعروف بالملف[5]. ويقول الزهري أن ثياب الملف تجلب من فنلندة إلى بلاد الأندلس وبلاد الروم، وكما تعمل هذه الثياب في كثير من بلاد الإفرنج ولكن ليست مثل هذه، ويضيف أنه كانت بشمال فنلندة تعمل ثياب الفشطان من بنات الخمطي، وهي نوع من أنواع الديباج[6]، كما تم استيراد جلود الخز والوبر والسمور[7].

د . العبيد الصقالبة:

كانت الأندلس منطقة عبور تجارية كبيرة و مهمة، ولذلك فقد راجت بها تجارة العبيد، وخاصة الرقيق الأبيض من الصقالبة و افرنجة وجليقية، ففي القرن "4هـ/10م" كان المسلمون

---

[1]- الزهري، كتاب الجغرافيا، صـ104.
[2] باشا نجاة، التجارة في المغرب الإسلامي، صـ66-67.
[3] ابن سعيد، الجغرافيا، صـ181.
[4] الزهري، كتاب الجغرافيا، صـ76-77.
[5] ابن الخطيب لسان الدين السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط2، ت.محمد عبدالله عنان، (القاهرة: الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1973م)، صـ140-144.
[6] الزهري، كتاب الجغرافيا، صـ77.
[7] ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، صـ83-84.

واليهود يذهبون إلى براغ لشراء الرقيق، ثم يعودون عن طريق نهر الرون و قطلونية على ثغر بجانة، حيث يخصى العبيد ويباعون كخصيان بسعر مرتفع سواء في الأندلس أو من الأندلس، ثم يحول بعضهم بعد ذلك إلى المشرق الإسلامي [1].

وقد أشار المقدسي إلى أن الصقالبة كانوا يحملون إلى مدينة خلف بجانة فيخصونهم، وكان لمدينة إليسانة اليهودية[2] دور هام في التجارة الأندلسية منذ العصر الأموي، وعن نوعية وأسعار هؤلاء العبيد يقول القزويني: "أنه يقع في بلاد الأندلس من الخدم والجواري المثمنات على غير صناعة، بل على حسنهم بألف دينار"[3]. وقد عرفت مدينة بلنسية هي الأخرى بتجارة العبيد "الرقيق"[4].

رابعاً : العلاقات التجارية بين الأندلس والممالك الأسبانية:

قامت علاقات تجارية بين مسلمي الأندلس ونصارى أسبانيا، منذ عصر الإمارة الأموية "138/ 316هـ" وقد نشطت هذه العلاقة بين الطرفين وانتعشت في عصر الخلافة الأموية، بدليل التقدم الصناعي والزراعي، الذي شهدته الأندلس في عهدي الناصر والمستنصر بالله.

ومن المعروف أن الموقع الجغرافي الذي تميزت به الأندلس كان له دوراً كبيرا، ساهم في سهولة التجارة مع الممالك الإسبانية، كما أن العمل في التجارة كان مرغوبا به من مختلف فئات المجتمع الأندلسي فضلا عن أن حركة التجارة كانت تنمو بنمو قوة الدولة الأموية، وخاصة مع الممالك الإسبانية، وكانت معاهدات السلام التي وقعت في عصر الخلافة بين الأندلس والممالك الإسبانية قد أدت إلى تهيئة أجواء آمنة للتبادل التجاري، إذ إن عصر الخلافة كان عصر القوة والازدهار الزراعي والتجاري، مما جعل علاقة الأندلس التجارية تشمل دول العالم الإسلامي والممالك الإسبانية في حين كانت التجارة في عصر الإمارة مقتصرة على العالم الإسلامي فقط

---

[1] خوان برينيط، هل هناك أصل عربي اسبانيا، صـ75.
[2]- المقري، نفح الطيب،ج1، صـ165-457.
[3]- ابن حوقل، صورة الأرض، صـ97.
[4]- السيد، تاريخ مدينة بلنسية، صـ277.

بسبب الغارات البرية والبحرية المتبادلة بين الطرفين. ولغرض استمرار هذه العلاقة وديمومتها كان لابد للطرفين من عقد معاهدات واتفاقيات تجارية بينهم.

افتتحت القوات الإسلامية شبه الجزيرة الإيبيرية "الأندلس" بقيادة فاتح الأندلس طارق بن زياد والوالي المحنك موسى بن نصير "92هـ/711م"، فتجمعت بعض ملوك القوط المهزومة أمام الجيش الفاتح في مكان يعرف بالصخرة[1] أو صخرة بلاي[2]، penade pelayo، بقيادة زعيم قوطي يسمى بلاي[3]، أو بلاية[4] "pelayo" ولعل استدعاء طارق وموسى بضرورة العودة إلى دمشق من قبل الخليفة الأموي الوليد عبد الملك؛ كان من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى عدم استكمال فتح الأندلس أولاً وإلى نمو القوة القوطية (القوط الغربيون) ثانياً، حيث قامت في الشمال الأندلسي عدداً من الممالك الاسبانية والذي شكل وجودها قلقا مستمرا لحكومة قرطبة خلال عصري الإمارة "316.138هـ/ 928.755م".

والخلافة "399/316هـ/ 1030/928م"، وكان أشهر هذه الممالك مملكة جليقية "Galicia" التي امتدت من نهر دويرة "Duero" جنوبا حتى الساحل الغربي الإسباني، ومن أشهر مدنها مدينة لُك "lugo" ، وشنت ياقب "Santiago" ، وملكة نبرة "Nareerra" التي كانت تمتد بمحاذة جبال ألبرت التي تفصل بين اسبانيا وفرنسا وكانت عاصمتها بنبلونة "Pamplona" ، ومملكة قشتالة وليون "castalla and Leon" ، كانت تقع بين مملكتي جليقية ونبرة ومن أشهر مدنها ليون وأسترقه "astorg"، وكوفادونجا "covadaonga"[5].

وعلى الرغم من العداء المتبادل بين هذه الممالك والأمويين في الأندلس؛ إلا أن هذا العداء لم يمنع من قيام بعض العلاقات التجارية بينها، وقد ظهرت هذه العلاقات ابتداءاً من عصر

---

[1]- المقري، نفح الطيب، صـ13-17.
[2]- المصدر السابق، ج1، صـ276.
[3]- مجهول، أخبار المجموعة، صـ28.
[4]- ابن الخطيب، أعمال الاعلام، صـ322.
[5]- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، صـ71-79.

الإمارة، بدليل وجود النقود الأموية التي عثر عليها في مملكة نبرة النصرانية[1]، والتي تعود إلى هذا العصر بالذات، مما يدل على قيام حركة تبادل تجاري في ذلك الوقت مع هذه المملكة، فضلا عمّ كان لليهود في الأندلس من أثر واضح في تنشيط حركة التجارة بين الطرفين خلال هذه الفترة[2]. أما عصر الخلافة الأموية فقد شهد تجارة رائعة بين الطرفين ومما ساعد على ذلك التقدم الصناعي والزراعي الكبير الذي شهدته الأندلس، على عهدي الناصر والمستنصر بالله، فضلا عن شيوع حالة من الاستقرار والأمان مهدت لعمليات التبادل التجاري مع تأخر الصناعة والزراعة في الممالك الإسبانية[3].

فالنقود تقدم لنا برهانا أكيدا آخر على الاتصال التجاري بين الأندلس والممالك الإسبانية، فالدنانير الذهبية التي ضربت في الأندلس على عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله ورد ذكرها في بعض دساتير مملكة ليون الأندلسية، وهذا ما يشير إلى رواجها في اسبانيا النصرانية في تلك الفترة، كما أن النقود التي كانت تضرب في دار السكة في مدينة سبته _التي كانت تابعة للأمويين آنذاك– وصلت إلى برشلونة[4]، مما يدل على قيام تبادل تجاري بينهما في ذلك الوقت ولضمان استمرارية العلاقات التجارية بين الأمويين والممالك الإسبانية؛ كان لابد للطرفين من عقد معاهدات واتفاقيات تجارية بينهم. فقد أشار ابن حيان إلى إحدى هذه المعاهدات التي وقعت في عام (328هـ/ 940م) بين الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر وبين شنير "sunnier" صاحب برشلونة، وأبرز ما جاء في هذه المعاهدة هو السماح لتجار برشلونة القدوم إلى الأندلس دون أن يتعرض لهم أحد، وتأمينهم على حاجياتهم وأموالهم وكل ما تضمنته سفنهم يتصرفون في تجارتهم

---

[1]- رجب محمد عبدا لحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية، صـ749.

[2]- ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية، ترجمة علي عبد الرؤوف وآخرون (مدريد، المجلس الأعلى للثقافة، 200م)، صـ210.

[3]- ابن حيان، المقتبس في أخبار الأندلس، ج5، صـ243-244.

[4]- ابن الأردبوس، كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار العبادي، (مدريد معهد الدراسات الاسلامية، 1965-1966م)، صـ59.

حيث شاءوا "فوردت مراكبهم إلى الأندلس في هذا الوقت وعظم الانتفاع بهم"[1]. فالتجارة تزدهر من جراء الفائض والاقتصاد الناجح، والأنظمة الحرة المفتوحة[2]، وقد وضّح ابن خلدون ذلك قائلا: " والتاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع إلا ما تعم الحاجة إليه من الغني والفقير ، والسلطان والسوقة، إذ في ذلك نفاق سلعته، وأما إذا اختص نقله بما يحتاج إليه البعض فقط، فقد يتعذر نفاق سلعته، فتكسد سوقه وتفسد أرباحه"[3]، ومما يدل على قيام تبادل تجاري بين مسلمي الأندلس ونصارى اسبانيا ما روي عن تاجر نصراني، كان يتاجر بين برشلونة النصرانية والأندلس الإسلامية[4]، فالطرق الأندلسية الرئيسية التي تمر عبر العاصمة قرطبة، فقد عززت الأهمية الإستراتيجية للمدينة، من خلال حقيقة أن قرطبة كانت تعتبر جسرا على النهر الكبير[5]، ويضاف إلى ذلك شغف وحب نساء وسيدات بلاط الممالك الإسبانية بالصناعات الأندلسية، وخاصة الأقمشة ذات الألوان الجميلة الزاهية، والفرش وصناعة التحف العاجية كالعلب والصناديق الصغيرة الحجم الدقيقة الصنع، حيث تصنع لحفظ العطور والعنبر والمسك، أو لحفظ الحلي وأدوات الزينة[6]، فضلا عن الصناعات الزجاجية كقناني البلور المصقولة والتحف المعدنية والخشبية وغيرها، وكان يقوم بمهمة شراء ما تحتاجه تلك السيدات، رجال البعثات الدبلوماسية القادمة من الممالك الإسبانية إلى الأندلس أو عن طريق بعض التجار اليهود، وكانت صناعة السيراميك التي اشتهرت بها الأندلس وبأشكاله المتعددة ذات الألوان الزاهية والجاذبة للنظر لها روادها التي اشتهرت به، فضلا عن صناعات أخرى اشتهرت بها المدينة، وخاصة صيد اسماك السردين وتغليفها وتصديرها داخل البلاد وخارجها، نظرا لازدياد الطلب عليها في أسواق قشتالة وليون[7].

---

[1]- ابن حيان، المقتبس، ج2، صـ454.
[2]- كونستابل، التجارة والتجار في الأندلس، صـ46.
[3]- نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي، صـ31,
[4]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ109.
[5]- المرجع السابق، صـ62.
[6]- ليفي بروفنسال، تاريخ اسبانيا الاسلامية من الفتح حتى سقوط الخلافة القرطبية، ط1، ترجمة عبدا لرؤوف اليمني، وعلى إبراهيم المنوفي ، وعبد الطاهر عبد الله، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، صـ2002م)، صـ376.
[7]- بروفنسال، الحضارة العربية في اسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، (القاهرة: دار المعارف، 1985م)صـ118-119.

- الصادرات الأندلسية للممالك الاسبانية:

أ . زيت الزيتون:

والذي كان ينتج في اشبيلية، وكان على رأس الصادرات الأندلسية فالفائض منه يصدر إلى الخارج، وقد اعتبرت تجارة الزيت من السلع الرئيسية في تجارة قشتالة، نظرا لما يتمتع به من سمعته وجودة[1].

ب . الزعفران:

من الصادرات الشهيرة للأندلس، ولقد أكد الجغرافيون والمهندسون أن زراعته وتصديره الواسعين كان في القرن "4هـ" وقد ذكر أن بلنسية أنتجت ما يكفي لتموين الأندلس كله، ونقله التجار إلى مناطق داخل الأندلس وخارجها[2].

ج . النسيج:

كما أن الصناعات النسيجية الأندلسية كانت قد شقت طريقها إلى الممالك الإسبانية، حيث كانت تصدر لها الأغطية والثياب الرفيعة، وخاصة تلك التي حيكت من خيوط الفضة[3]، كما صدرت الأقمشة الفاخرة ويشير ابن حوقل "إلى جيد الثياب والكسي، من لين الكتان، وجيد الخز، الذي تمتعت به الأندلس في القرن 4هـ"[4]، وقد ساد الحرير تجارة الأندلس على الرغم من أن الكتان والصوف والقطن أخذ قسطا من التجارة، فقد ذكر الإدريسي " أن أكثر من ثلاثة آلاف مزرعة لتربية دودة القز في الجبال، حول مدينة جيان وقد ميز الشقندي هذه الرقعة مسميا إياها "

---

[1]- الإدريسي، القارة الإفريقي، ج2، صـ565.
[2]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ261.
[3]- المرجع السابق ، صـ268.
[4]- أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، ط2 (لبدن-1828م)، صـ113.

جان الحرير" لأن كثير من الناس في الريف والمدينة قد استغرقوا في تجارة الحرير"[1]. أما الحرير الطبيعي الذي كانت تنتجه غرناطة فكان نسبة منه يتم تسويقها في أسواق قشتالة، وليس بالضرورة تصدر غرناطة كل إنتاجها، فكان نصارى الشمال الإسباني لم يستطيعوا مقاومة إغراء الملابس الحريرية، فأقبلوا إلى شرائها والتباهي بها بارتدائها في الاحتفالات والمناسبات الرسمية[2]، وكان تجار مدينة برغش من مصدري الأصواف البيضاء الناعمة الجيدة، فكانوا يملكون خانا لغسل تلك الأصواف وتنظيفها، يشتغل فيه عدد غير قليل من العمال، ثم يقومون بتصديرها، وبيعها، وتسويقها في أسواق قشتالة، فضلا عن الماشية التي تصدرها طليطلة[3].

د . المعادن:

أما الصناعات المعدنية فقد كان لها نصيب في التجارة، فكانت لسيوف اشبيلية شهرة واسعة، عند الأسبان، حتى أن نصارى قشتالة كانوا يفضلونها على سيوف مدينة بوردو الفرنسية[4].

- الواردات الأندلسية من الممالك الاسبانية:

أ . الحديد:

فقد استوردت الأندلس واعتبارا من عصر الخلافة معدن الحديد المعروف بالشلق من اسبانيا النصرانية، وخاصة من مملكة قشتالة، فكان الأندلسيون يستخدمون الحديد في صناعة آلات الحرب، من السيوف والرماح والسكاكين[5].

---

[1]- كونستابل، التجارة والتجار، صـ262-263.
[2]- أحمد رفعت موسى، الحرير الطبيعي، (القاهرة، دار مطابع الشعب1961م)، صـ33.
[3]- الإدريسي، نزهة المشتاق، صـ188.
[4]- محمد عبد الحليم، العلاقات، صـ474.
[5]- الزهري، كتاب الجغرافيا، صـ104/111/118.

ب . السَفَن:

كما استورد المسلمون مادة السفن الجيد، لاستخدامه في الصناعات الجلدية، ويكثر في جبال جليقية خشب البوط، فكان المسلمون يستخدمونه في صناعة مقابض السيوف[1].

ج . الرقيق:

من الإستيرادات الأندلسية أيضا الرقيق، الذي عدّ من السلع الرئيسية في أسواق الأندلس، فقد تاجر بهم المسلمون واليهود، فمنذ القرن "3هـ/9م"، دأب تجار اليهود على جلب الرقيق الأبيض "الصقالبة" إلى الأندلس من أوروبا الشرقية وإسبانيا النصرانية، وف القرن "4هـ/10م" كان هناك مصدرا آخر للرقيق الصقالبة في الأندلس فقد أشار ابن حوقل[2] إلى ما كان يجلب من برشلونة وجليقية في شمال اسبانيا عن طريق الغارات التي كان يقوم بها المجاهدون المسلمون، الذين يهاجمون سواحل المناطق المذكورة.

وقد اضطلع هؤلاء الرقيق الصقالبة المجلوبون إلى الأندلس بدور مهم في عصر الخلافة الأموية، فقد تطور الأمر إلى استخدامهم في الحرس والحاشية والجيش، بل إن كبار زعمائهم تولوا مناصب خطيرة في الدولة، وأصبحوا يشكلون قوة يحسب لها حسابها[3] مما حدا بابن عذارى[4] أن يطلق على البارزين و المتنفذين منهم "بالفتيان الصقالبة"، فضلا عن تولي بعضهم مناصب إدارية رفيعة، تولوا أيضا قيادة الجيوش أحيانا، فقد نال نجدة الصقلبي في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر مكانة لم ينلها أحد مثله إذ عين قائدا على رأس حملة عسكرية، لقتال ملك ليون راميرو

---

[1]- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، صـ239.
[2]- بروفنسال، تاريخ اسبانيا الاسلامية، صـ391.
[3]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج2، صـ235/259-260.
[4]- المصدر السابق، ج2، صـ232.

الثاني "Ramiroll "[1]. هذا وقد شكل الرقيق الجواري سلعة لا تقل أهمية عن الرقيق الذكور في استيرادات الأندلس، فقد جلبت الجواري البيض من جليقية[2].

وقد ذكر عن الأمير عبد الرحمن الثاني أنه كان لديه ثلاث جواري جلبن له من المدينة المنورة، وعرفن بالمدينات وهن فضل وقلم وعلم[3]، ويروي بروفنسال أن لقب المدينات لا لأنهن من أبناء المدينة المنورة؛ ولكن لأنهن تربين وتثقفن فيها على فن الغناء ورواية الشعر، إنما أصلهن من سبي أسبانيا النصرانية أدى بهن طريق الرق إلى المشرق ثم عاد بهن مرة أخرى إلى الأندلس[4]. ولقد اعتبرت جواري في الأندلس من السلع الكمالية ومن أنفس ما يتهادى به ذو المقامات الرفيعة، فالوزير ابن شهي أهدى الخليفة عبدالرحمن الناصر هدية ثمينة، تحدث عنها المؤرخون بإطناب، وكان من جملة هذه الهدية عشرون جارية، من متخير الرقيق بكسوتهن وزينتهن[5].

وانتشر شراء واقتناء الجواري في الأندلس بين الخلفاء وكبار رجال الدولة، وعامة الناس، وذلك للحاجة إليهن في أعمال الخدمة وغيرها وهذا ما ساعد على تنشيط حركة استيرادهن والمتاجرة بهن[6]. وهناك من عامة الناس من ملك عشرين جارية ومنهم من ملك ستين جارية[7]، ومن المؤكد أن سعر الجواري قد تباين في الأندلس، ومما لاشك فيه أن المتعلمات والجميلات وصغيرات السن، كن أغلى من الجاهلات (غير المتعلمات) والكبيرات السن، فضلا أن حالة العرض والطلب أثرت في أسعارهن، ففي عهد المنصور بن أبي عامر حيث امتلأت الأندلس بالغنائم والسبي من بنات اسبانيا النصرانية، فقد حدث أن نودي على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة، وكانت ذات

---

[1]- ابن خلدون،العبد، صـ309.
[2]- ابن حوقل، صورة الأرض، صـ106.
[3]- ابن الآبار، الحلة السيراء، صـ114.
[4]- بروفنسال، تاريخ اسبانيا الإسلامية، صـ213.
[5]- المقري، نفح الطيب، ج1، صـ359.
[6]- المصدر السابق، ج1، صـ567.
[7]- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2، صـ123.

جمال رائع فلم تساوِ أكثر من عشرين دينار[1]، في حين كانت تباع الجارية البيضاء في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر مابين ثلاثمائة دينار أو خمسمائة دينار[2].

وقد حققت موارد الدخل في الأندلس زيادة عظيمة في أيام الحاجب المنصور، واستمرت هذه الزيادة في عهد ولده الحاجب عبد الملك المظفر، مما أدى إلى زيادة واردات الدولة بسبب تطور النشاط الاقتصادي[3]، حيث كثرت الصناعات وعمّت مختلف أنحاء الأندلس، حيث تخصصت كل ناحية بإنتاج صناعة معينة[4] فاستمرت الأندلس تورد وتصدر المنتوجات الصناعية في عصري الإمارة والخلافة الأموية.

[1]- المراكشي، المعجب، صـ84.
[2]- ابن الفرض، تاريخ علماء الأندلس، ج2، صـ123.
[3]- عثمان، دولة الإسلام في الأندلس عصر الخلافة الأموية، صـ574.
[4] المقري، نفح الطيب، ج1، صـ188.

النتائج التي توصل اليها الباحث :

نلخص النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، حيث أن طبيعة بلاد الأندلس بصفتها شبه جزيرة، تحيط من معظم جهاتها البحر يفرض ضرورة اهتمام أهلها أكثر من غيرهم، بالشؤون الملاحة وهذا لسببين، الأوّل:- يتعلق بالجانب العسكري المتمثل بحماية الأعداء المحيطين بها. أما السبب الثاني:- فيتعلق بالجانب الاقتصادي وذلك أن الأندلس بلد يحيطها البحر من الشرق والغرب والجنوب، فيعزلها عن باقي أقطار العالم، خاصة منها الأقطار الإسلامية، ومن ثم لا يمكن الاتصال به إلا إذا استطاعت امتلاك قوى بحرية، تسهّل إقامة علاقات تبادل تجاري مع الدول الأخرى، ولقد اهتم الأندلس خلال هذه الفترة أيما اهتمام بالتجارة الخارجية، حيث عمل الأندلسيون على توفير مختلف السلع والبضائع بالأسواق، سواءاً بإنتاجها محليا أو عن طريق الاستيراد من البلدان الخارجية، المتعاملة معها وكان هذا نتيجة لما وصلت إليه فترة الدولة الأموية خاصة فترة الخلافة، من تطور وازدهار في مختلف المجالات، فأصبحت الرعية الأندلسية تتمتع بحياة الترف، وخاصة أهل المدن والحواضر منها، فكان طلبهم متزايدا على السلع الكمالية، التي تجلب من البلدان البعيدة وبأغلى الأثمان.

إن التجارة بالأندلس خلال العصر الأموي قد نمت نمواً لم يشهده عصر من عصورها، فالمجتمع الأندلسي اعتاد على حياة الترف والتملك، والحياة الرغيدة، ولقد لعب الموقع الجغرافي للأندلس واستتباب الأمن فيها وتوحيدها عصر الإمارة، وتطورها الزراعي والصناعي والعمراني، دورا كبيرا فيما وصلت إليه التجارة الخارجية فيها من تطور وقوة، كذلك لا ننسى أهمية الموانئ والمراكز والطرق التجارية، في ازدهار التجارة الخارجية واتساعها على أغلب الدول المجاورة للأندلس.

ملخص القول: أنّ فترة الحكم الأموي للأندلس عصري الإمارة والخلافة؛ كان من أزهى وأعظم عصور الأندلس من جميع النواحي، خاصة النواحي الاقتصادية منها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

*ابن الآبار أبو عبد الله القضاعي (م، 658هـ/ 1260م).

الحلة السيراء،

تحقيق: حسين مؤنس،

(الشركة العربية للطباعة، 1962م).

*ابن الأثير عز الدين أبي الحسن، (م، 630هـ/ 1233م).

الكامل في التاريخ،

تحقيق: عمر عبد السلام التدمري،

(بيروت: دار الكتاب الوطني، 2010م).

*ابن الخطيب لسان الدين السليماني (م، 776هـ/ 1374م).

- أعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الأسبان ما يجري ذلك من سجون الكلام

تحقيق: ليفي بروفنسال،

(بيروت: دار المكشوف، 1956م).

- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار،

تحقيق: محمد كمال شيانه،

(مصر: مكتبة الثقافة الدينية، 2002م).

- الإحاطة في أخبار غرناطة،

تحقيق: محمد عبدالله عنان،

(القاهرة: الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1973م).

- خطرة الطيف رحلات المغرب

والأندلس، (1347. 1362هـ).

تحقيق: أحمد مختار العبادي، الناشر

المؤسسة العربية للنشر.

*ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله الأزدي،(م، 962هـ/1012م).

تاريخ علماء الأندلس،

تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي،

(بيروت: لبنان، 1989م).

*ابن القطان أبو علي حسن نظام الجمان,

الجومان في ترتيب ما سلف من أخبار الزمان،

تحقيق: محمود علي مكي

(بيروت: دار الغرب الاسلامي، 1990م).

*ابن القوطية أبوبكر محمد بن عمر، (م، 367هـ/ 977م).

تاريخ افتتاح الأندلس

تحقيق: إبراهيم الأبياري،

(القاهرة: دار الكتاب المصري، 1989م).

*ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك، (عاش أواخر القرن 6هـ/12م).

تاريخ الاكتفاء في أخبار الخلفاء،

تحقيق: أحمد مختار العبادي

(مدريد: مجلة العهد المصري للدراسات الإسلامية، عدد13)

*ابن الوردي عمر بن المظفر بن عمر بن أبي الفوارس(م 961هـ/1992م).

تتمة المختصر في أخبار البشر،

تحقيق: أحمد رفعت (ب.ت)

*ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم (م، 281هـ)

المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس،

تحقيق: محمد شمام،

(تونس: المكتبة العتيقة، 1967م).

*ابن بسام أبو الحسن علي الشنتريني، (م،542هـ/ 1147م).

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،

تحقيق: احسان عباس،

(بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000م).

*ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبدالله، (م، 578هـ/ 1183م).

كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، شرحه وقدم له: صلاح

الدين الهواري، (بيروت: المكتبة العصرية)

*ابن بطوطة أبو عبد الله محمد إبراهيم اللواتي، (م،542هـ/1147م).

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

رحلة ابن بطوطة

(المطبعة الخيرية، 1322هـ)

*ابن جبير أبو الحسن محمد،

رحلة ابن جبير،

(بيروت: دار صادر 1964م)

*ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد، (م، 456هـ، 1063م)

جمهرة أنساب العرب،

تحقيق :عبد السلام محمد هارون،

(القاهرة: دار المعارف، 1962م).

*ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، (م، 367هـ/ 977م).

صورة الأرض.

(لبنان: منشورات مكتبة دار الحياة 1969م).

*ابن خاقان أبو الفتح بن محمد بن عبيد الله، (م، 1087هـ/1134م)

مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس،

تحقيق: محمد علي شوبكة،

(بيروت مؤسسة الرسالة، 1983م).

*ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد بن عبد الله، (م، 300هـ/ 912-913م).

المسالك والممالك،

تحقيق: محمد جابر عبد العال، 1996م.

*ابن خلدون أبو زيد عبدالرحمن بن محمد، (م، 808هـ/ 1405م).

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب العجم والبربر ومن

عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،

مراجعة: سهيل ركار،

(بيروت: دار الفكر).

*ابن سعيد أبو الحسن علي بن سعيد، (م، 685هـ).

المغرب في حلى أهل المغرب،

تحقيق:شوقي ضيف

(القاهرة: دار المعارف)

*ابن سعيد نور الدين ابوالحسن العنسي ، (م ، 685 هـ / 1286 م)

الجغرافيا،

تحقيق : اسماعيل العربي ،

(بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، 1970 م)

*ابن عبد ربه أحمد بن محمد، (م، 328هـ/ 939م).

العقد الفريد

تحقيق: محمد سعيد العريان،

(بيروت: دار الفكر)

*ابن غالب محمد بن أيوب الأندلس، (حوالي القرن 6هـ/ 12م).

قطعة من كتاب فرحة الأنفس من كنوز الأندلس ومدنها،

نشر: لطفي عبد الحميد،

(نشر: مجلة معهد المخطوطات العربية، 1955م).

*أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد، (م، 732هـ).

تقويم البلدان،

(بيروت: دار صادر)

*أبو مروان حيان بن خلف، (م، 469هـ/ 1076م)

المقتبس في أخبار أهل الأندلس،

(مدريد: نشر دور شالمينا ودور كوز نبطي، 1999م).

*الإدريسي أبو عبد الله محمد، (م، 548هـ/ 1154م).

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،

(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2002).

- القارة الإفريقية جزيرة الأندلس تحقيق: اسماعيل العربي،

(الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ،1983م).

- كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار العبادي،

(مدريد: معهد الدراسات الإسلامية1965-1966م).

*الأصطخري أبو إسحاق إبراهيم، (م، 430هـ/ 951م).

المسالك والممالك،

تحقيق: محمد جابر عبد العال، 1966م.

*البكري عبد الله بن عبد العزيز (م، 487هـ/ 1094م).

المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب،

(القاهرة: دار الكتاب الإسلامي)

*الحموي ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله، (م، 636هـ/122م).

معجم البلدان،

(بيروت: دار صادر 1966م).

*الحميدي أبو محمد الأزدي، (420هـ/488هـ)

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس،

تحقيق : روحية عبد الرحمن السويقي

(بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م).

*الحميري أبو عبد الله محمد، (900هـ/1495م).

الروض المعطار في خير الأقطار،

تحقيق: احسان عباس،

(بيروت: مكتبة لبنان، 1984م)

*الدلائي أحمد بن عمر،

نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار

تحقيق: عبد العزيز الأهواني،

(مدريد: معهد الدراسات الإسلامية)

*الدمشقي أبو عبدالله محمد الأنصاري، (م، 727هـ/ 1327م).

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر،

(نشر أ. طهران، بيزج 1923م).

*الرشاطي أبو محمد وابن الخراط الأشبيلي الأندلسي

اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار

تحقيق: ايميلو مولينا، وخانثينو يوسك بيال،

(مدريد: المجلس للأعلى للبحوث العلمية 1990م).

*الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، (م، 381م).

الجغرافيا،

تحقيق: محمد حاج صادق

(بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية)

*السقطي أبو عبدالله محمد بن أبي محمد،

آداب الحسبة،

(باريس: معهد العلوم المغربية، 1931م).

*الضبي أبو جعفر أحمد بن يحيى القرطبي (م، 599هـ/ 1203م).

بغية المتلمس في تاريخ أهل الأندلس،

(دار الكتاب العربي، 1967م).

*العمري ابن فضل الله، (م، 749هـ)

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار تحقيق: حمزة أحمد عباس،

(المجتمع الثقافي، أبو ظبي: الإمارات العربية المتحدة، 2002م).

- مقتضب من كتاب مسالك الأبصار في مسالك الأمصار

تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب

(تونس: مطبعة النهضة)

*الغرناطي أبو حامد الأندلسي، (م، 565هـ/1170م).

تحفة الألباب، وتحفة الإعجاب،

تحقيق: اسماعيل العربي،

(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م).

*الفقيه أبوبكر أحمد بن إبراهيم، (القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي).

مختصر كتاب البلدان،

(مطبعة ليدن، إبريل، 1985م).

*القزويني زكرياء بن محمد، (م، 682هـ)

آثار البلدان وأخبار العباد،

(مكتبة: برلين، 1848م).

*القلقشندي: أبو العباد وأحمد، (م، 821هـ/1418م).

صبح الأعشى في كتاب الإنشاء،

(القاهرة: المطبعة الأميرية 1915م).

*القلصادي أبي الحسن علي الأندلسي (م، 891هـ/1487م).

رحلة القلصادي

تحقيق: أبو الأجفان محمد،

(تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1985م).

*المالكي أبوبكر بن العربي، (543هـ).

طبقات علماء القيروان وإفريقيا،

(تحقيق: البكوش).

(بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981م).

*المراكشي عبد الواحد، (647هـ/1250م).

المعجب في تلخيص أخبار العرب

تحقيق: محمد سعيد العريان،

(الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية).

*المراكشي أبو عباس أحمد بن محمد ابن عذارى، (م، 712هـ)

البيان المغرب في أخبار الأندلس

تحقيق: ج.س كولان و ليفي بروفنسال

(بيروت: دار الثقافة، 1980م).

*المقدسي محمد بن أحمد شمس الدين، (م، 380هـ/990م).

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،

تحقيق: محمد أمين الصاوي،

(بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م).

*المقري أحمد بن محمد التلمساني، (م، 1041هـ/1016م).

نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب،

تحقيق: احسان عباس،

(بيروت: دار صادر، 1988م).

*الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، (م، 914هـ/1015م).

العيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس

والمغرب، تحقيق: محمد الحج،

(الرباط: نشر وزارة الأوقاف، 1981م).

*مجهول مراكشي الاستبصار في عجائب الأمصار،

نشر وتوزيع سعد زغلول عبد الحميد،

(المغرب: الدار البيضاء، دار النشر المغربية 1980م).

*مؤلف مجهول ذكر بلاد الأندلس

تحقيق وترجمة: لويس مولينا،

(مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1983م).

*مؤلف مجهول أخبار مجموعة،

تحقيق: إبراهيم الأبياري،

(القاهرة: دار الكتاب المصرية، 1981م).

*مجهول حدود العالم من المشرق إلى المغرب،

تحقيق: يوسف الهادي،

(القاهرة: الدار الثقافية، للنشر، 1999م).

ثانيا المراجع:

المراجع العربية:

*أبو رزاق أحمد بن محمد،

الأدب في عصر بني حماد،

(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979)

*أرشيبالدلويس أرشيبالد لويس

القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط،

تحقيق: أحمد محمد عيسى،

مراجعة: أحمد شفيق غربال،

(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية)

اسماعيل محمود عبد الرزاق،

الخوارج في المغرب الإسلامي،

(بيروت: دار العودة، القاهرة: مكتبة مدبولي 1976م).

*أرسلان شكيب،

الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية،

(بيروت: دار نشر مكتبة الحياة).

*البكر محمد عبد الرحمن

السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي،

(القاهرة: دار الزهراء للإعلام العربي، 1408م).

*النصولي أنيس زكرياء،

الدولة الأموية في قرطبة،

(بغداد: المطبعة العصرية، 1926م).

*بدر أحمد،

دارسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح وحتى الخلافة،

(دمشق: 1966م).

*بروفنسال ليفي،

- حضارة العرب في الأندلس،

ترجمة: ذوقان قرقوط،

(بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة)

- تاريخ اسبانيا الإسلامية من الفتح حتى سقوط الخلافة القرطبية،

ترجمة: علي عبد الرؤوف وآخرون،

(مدريد: المجلس الأعلى للثقافة 2000 م).

- الحضارة العربية في اسبانيا

ترجمة: أحمد طاهر،

(القاهرة: دار المعارف 1985م).

*بروكلمان كارل

تاريخ الشعوب الإسلامية،

ترجمة: نبيه أمير و منير البعلبكي،

(بيروت: دار العلم للملايين، 1991م).

*الجنجاني الحبيب،

المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية،

تونس: الدار التونسية للنشر، 1978م).

*جودت عبد الكريم يوسف،

- العلاقات الخارجية الرسمية،

(الجزائر: المؤسسة الوطنية 1984م).

- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع،(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1992م).

*حجي عبدالرحمن،

التاريخ الأندلسي،

(دمشق: بيروت، دار القلم 1981م).

*حسبينة علي

مع المسلمين في الأندلس،

(جدة: دار الشرق الإسلامي).

*حسين إبراهيم حسين،

تاريخ الأندلس الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي

(بيروت: دار الجبل، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1996م).

*حناوي محمد،

جوانب من العلاقات الاقتصادية والبشرية في الحوض المتوسط قبيل القرن العاشر الميلادي، عن كتاب الغرب الإسلامي والغرب المسيحي،

جمع: محمد حمام،

(الرباط : منشورات كلية العلوم الإنسانية، الهلال للطباعة والنشر).

*حتاملة محمد عبده،

موسوعة الديار الأندلسي

(الأردن، 1999م).

*خلاف محمد عبد الوهاب،

قرطبة في القرن الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري الحياة الاقتصادية والاجتماعية،

(تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م).

*خلف سالم بن عبدالله الخلف،

نظام حكم الأمويين،

(السعودية: المدينة المنورة، 2003م).

*دار المعارف مجموعة من العلماء،

(ب.ط ، ب،ت)

*دانون عبد الواحد طاهر،

الفتح والاستقرار العربي في شمال افريقيا والأندلس،

(دار المدار الإسلامي، 2004م).

*الدوري عبد العزيز،

تاريخ العراق الاقتصادية في القرن الرابع الهجري،

(لبنان: بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، 1995م).

*دويدار حسين يوسف،

المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138هـ/422هـ ،155م/

1030م).

(الإسكندرية: مطبعة الحسين الإسلامية 1994م).

* سالم السيد عبد العزيز،

- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس،

(دار النهضة العربية: للطباعة والنشر، 2008م).

- تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس،

(الأندلس: الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، 1984م).

- في تاريخ وحضارة الأندلس،

(الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1985م).

*سامية مسعد مصطفى،

العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية،

(مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000م).

*السمرائي خليل إبراهيم، وآخرون،

تاريخ العرب وحضارتهم الأندلس،

(بيروت: لبنان ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2000م).

*السوسي باشا نجاة ولدت

التجارة في المغرب الإسلامي ق 4هـ إلى ق 8هـ،

(تونس: منشورات الجامعة التونسية، 1976هم).

*سواري عبد محمد

الأحوال الاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي في القرن الثاني الهجري،

(جامعة البصرة: كلية التربية).

*السيد كمال أبو مصطفى،

- مالقة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف،

(الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة،1993م).

- تاريخ الأندلس في عصر دولتي المرابطين والموحدين،

(الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، ب.ت)

- تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي 95هـ،

495هـ،

(مصر: مركز الإسكندرية للكتاب، ب.ت)

*الشطشاط علي حسين، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة،

(القاهرة: دار قبا للطباعة والنشر والتوزيع، 2001)

*شلبي أحمد،

موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،

(القاهرة: دار الكتاب المصري، 1980م).

*الشكعة مصطفى،

تاريخ الأدب الأندلسي،

(دار العلم للملايين، 1975م).

*الشيخ محمد مرسي،

دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي، (مؤسسة الثقافة الجامعية، 1981م).

*الطاهري أحمد،

- دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس عصري الخلافة والطوائف، (الدار البيضاء،: مطبعة النجاح الجديدة، 1993م).
- الأندلس في عصر بني عباد،

(سوريا: اشبيليا، للدراسات والنشروالتوزيع، 2009م).

*الطوخي أحمد محمد،

مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر،

(الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة).

*العبادي أحمد مختار،

تاريخ المغرب والأندلس،

(بيروت دار النهضة العربية)

*عبد الحليم رجب محمد،

العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف،

(القاهرة: دار الكتب الإسلامية، ودار الكتب المصرية، بيروت:

دار الكتب اللبنانية).

*العروي عبدالله،

تاريخ المغرب في عهد الوحدة والسطوة،

(الدار البيضاء: بيروت، المركز الثقافي العربي 2002م)

*علي محمد كرد

غابر الأندلس وحاضرها،

(المطبعة الرحمانية، إدارة المكتبة الأهلية، 1923م).

*عنان محمد عبدالله ،

دولة الإسلام في الأندلس،

(القاهرة مكتبة الخانجي، 1994م).

*فكري أحمد،

قرطبة في العصر الإسلامي،

(الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ب.ت).

*الفقي عصام الدين،

تاريخ المغرب والأندلس، (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق).

*كولان جورج سيرفين،

الأندلس،

(بيروت:دار الكتاب اللبناني،القاهرة: دار الكتاب المصري 1980م).

*كونستابل أوليفيا ريمي،

التجار المسلمون في تجارة الأندلس،

تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي،

(طبعة 2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية).

*كونستابل أوليفيا ريمي،

التجارة والتجار ، بالاندلس

تحقيق :فيصل عبدالله ،

(السعودية ، مطبوعات العبيكان ، 2002) .

*مؤنس حسين،

- فجر الأندلس،

(القاهرة: دار الرشاد: 1959م).

- معالم تاريخ المغرب والأندلس،

(القاهرة: دار الرشاد 1991م).

- تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1993م).

*محمود منى حسن،

المسلمون بالأندلس وعلاقتهم بالفرنجة،

(القاهرة: دار الفكر العربي 1987م).

*مرحبا محمد عبد الرحمن،

الجامع في تاريخ العلوم عند العرب،

(بيروت، منشورات عويدات، 1989،1988م).

*مرزوق محمد عبد العزيز،

قصة الفن الإسلامي،

(عمان : دار المسرة، 1419هـ/ 1998م).

*مصطفى شكري،

الأندلس في التاريخ،

(سوريا: منشورات وزارة الثقافة، 1990م).

*مورينو مانويل جومث،

الفن الإسلامي في اسبانيا،

ترجمة: عبد البديع، السيد محمود عبدالعزيز،

مراجعة: جمال محمد محرز،

(القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف، الدار المصرية للتأليف).

*موسى عز الدين عمر،

النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي في خلال القرن السادس الهجري، (بيروت، القاهرة: دار الشروق 1983م).

المراجع الأجنبية

*Dozy, a history of the Muslims in Spain. London, 1993

***الدوريات والمجلات:**

*بيرنيط خوان،

هل هناك أصل عربي اسباني في الخرائط البحرية،

تعريب: أحمد مختار العبادي،

(مدريد:صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية عدد1، 1953م).

المعاجم والقواميس:

*مؤنس حسين،

أطلس تاريخ الإسلامي

(القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1987م).

*الهنائي على بن حسن

المنجد في اللغة العربية

(طبعة 17، بيروت: دار المشرق،1991م).

المــلاحــق

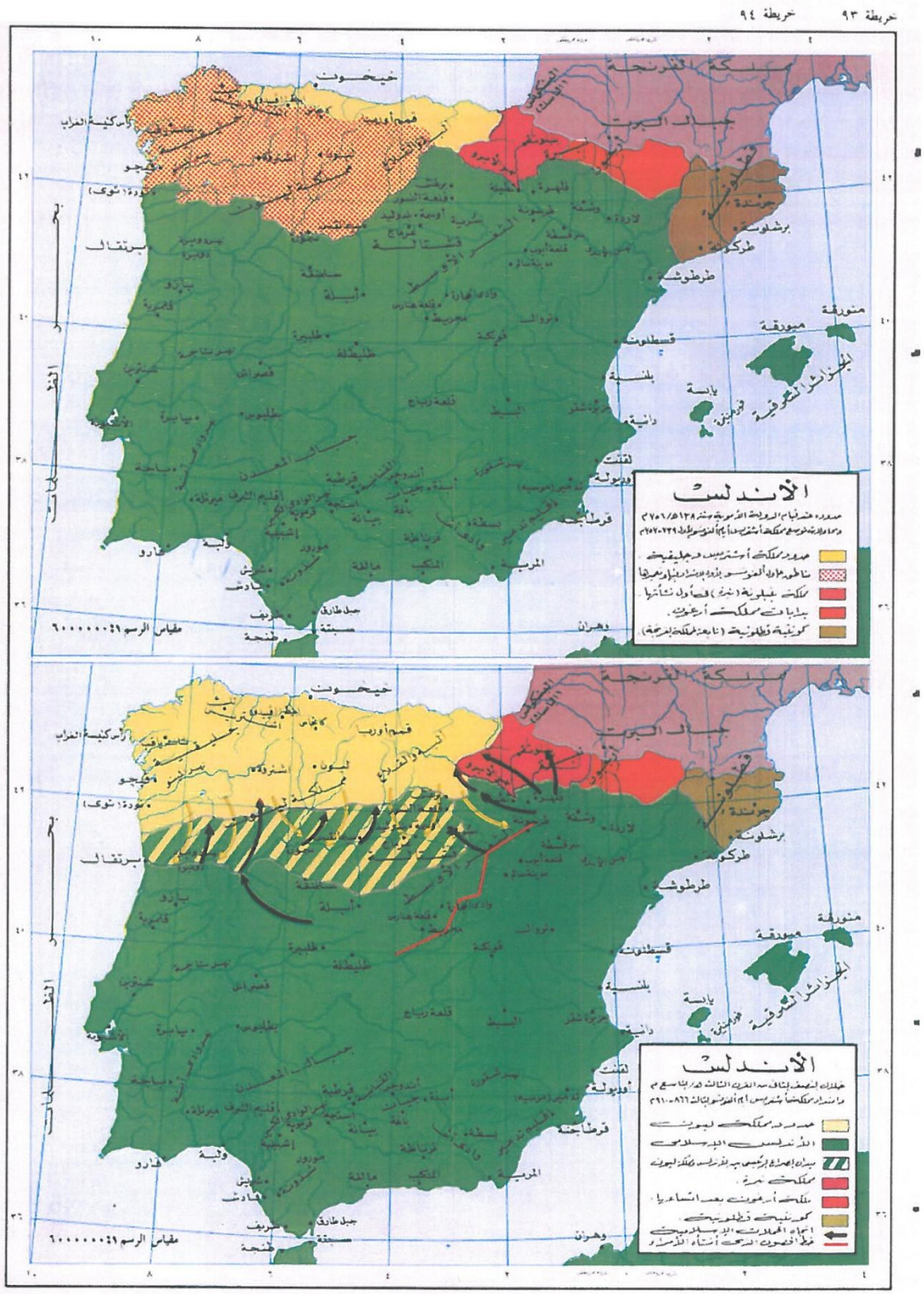

أطلس تاريخ الاسلام د.حسين مؤنس

خريطة ٩٥

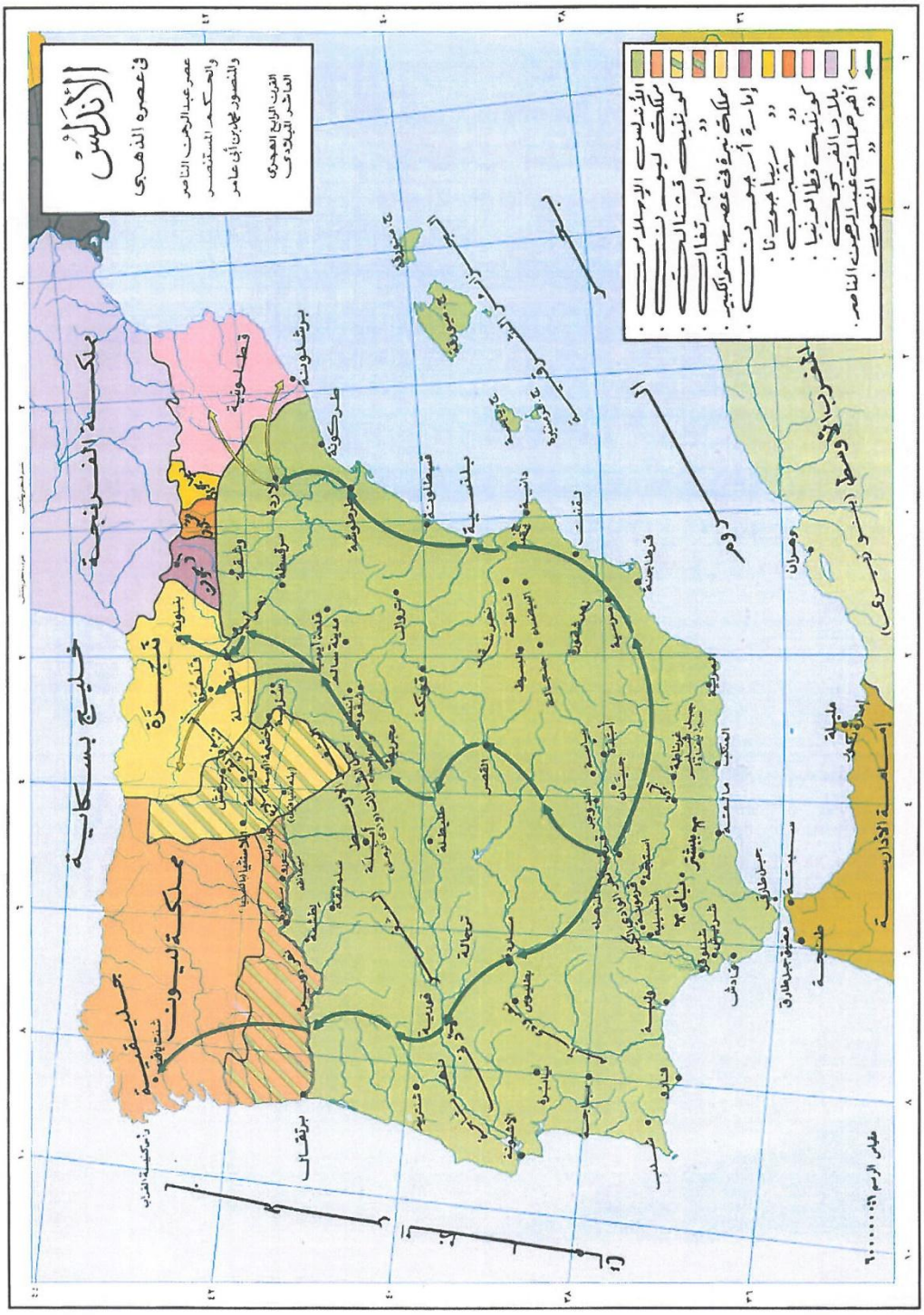

أطلس تاريخ الاسلام د.حسين مؤنس

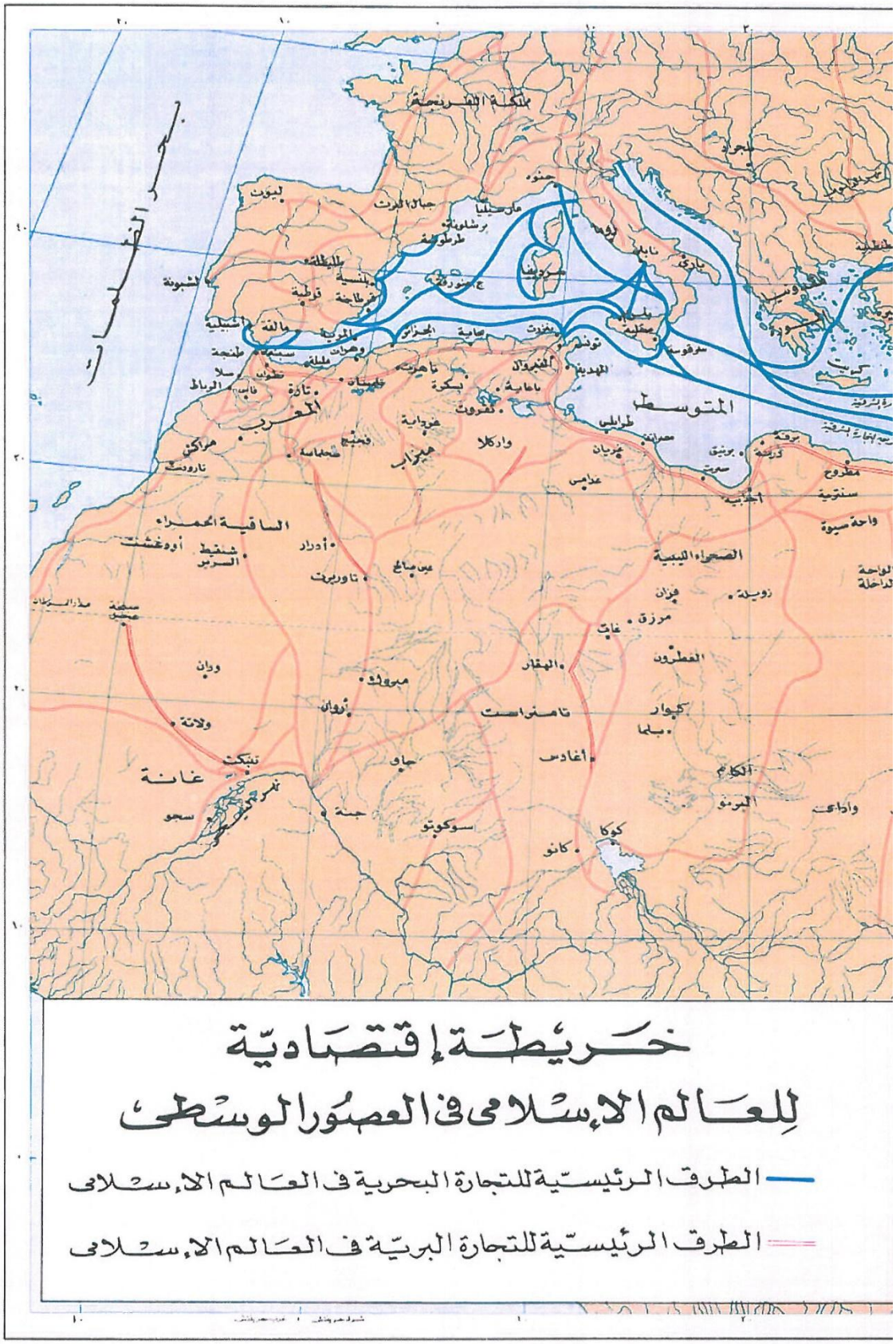

أطلس تاريخ الاسلام د.حسين مؤنس

أطلس تاريخ الاسلام د.حسين مؤنس

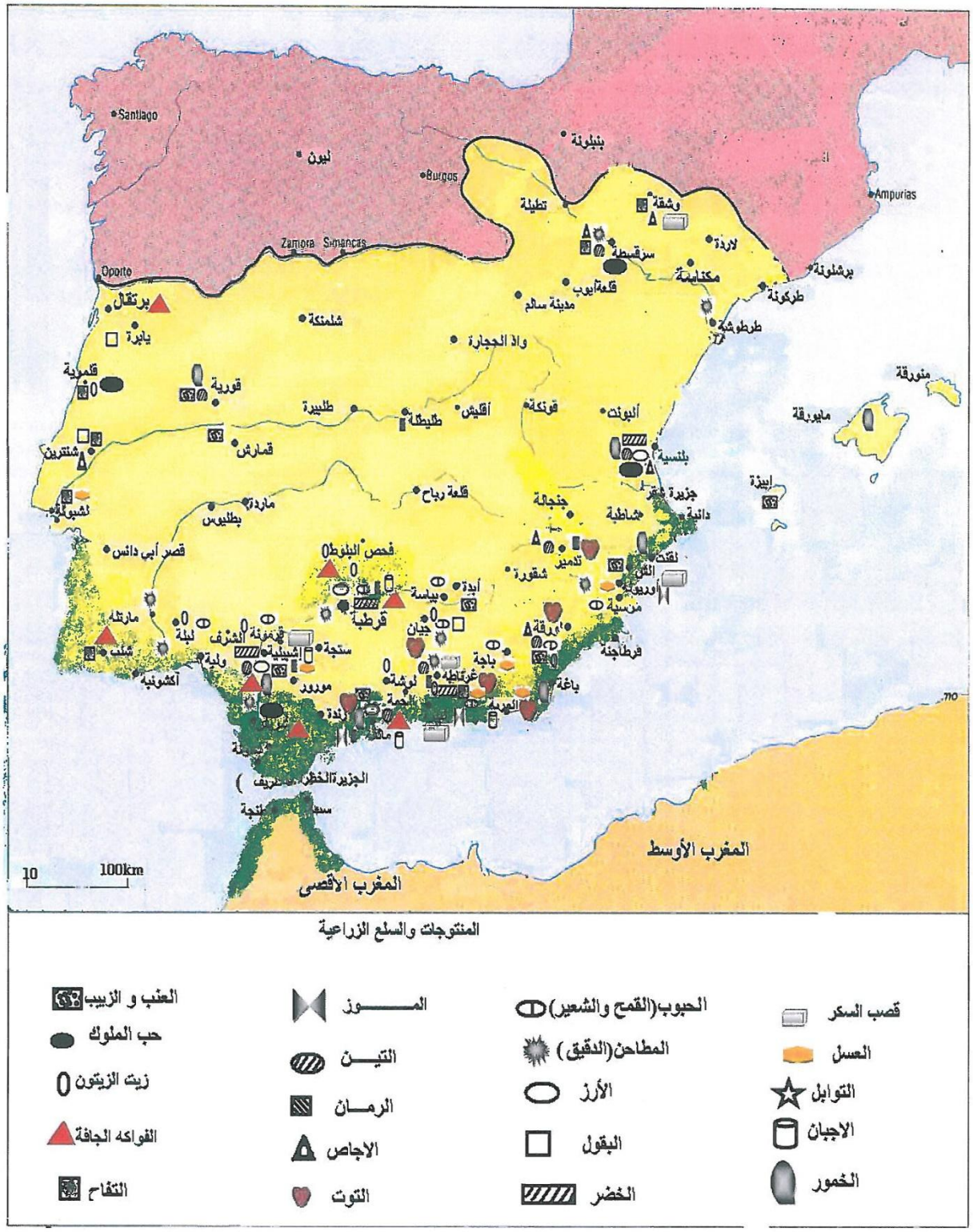

المنتوجات والسلع الزراعية

العنب و الزبيب
حب الملوك
زيت الزيتون
الفواكه الجافة
التفاح

الموز
التين
الرمان
الاجاص
التوت

الحبوب(القمح والشعير)
المطاحن(الدقيق)
الأرز
البقول
الخضر

قصب السكر
العسل
التوابل
الاجبان
الخمور

أطلس تاريخ الاسلام د.حسين مؤنس

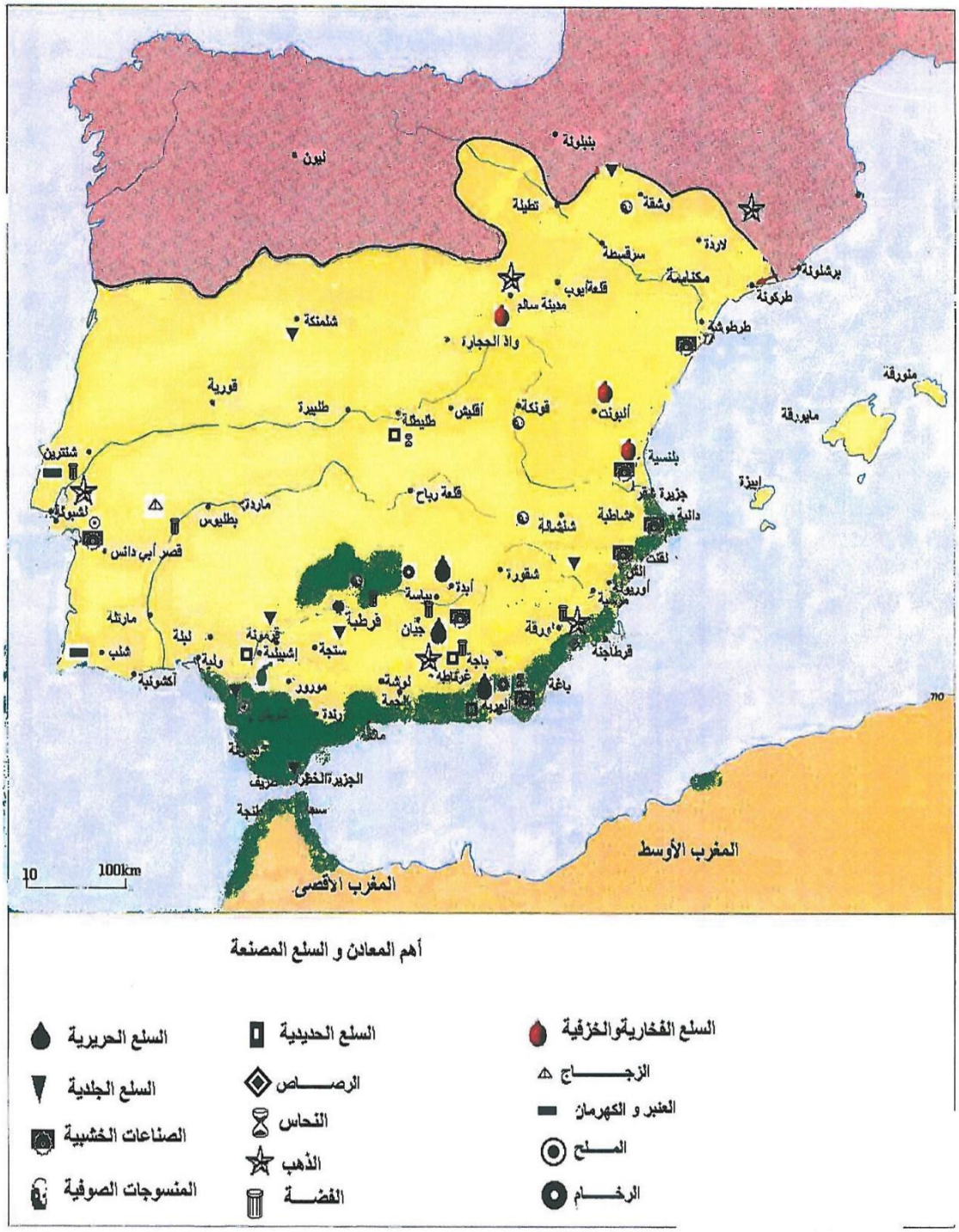

أطلس تاريخ الاسلام د.حسين مؤنس

External trade relations of Andalusia

(422-138AH / 755-1030AD)

By

Asmaeil Abraheem Abdullah Almijbari

Supervisor

Professor Dr. Idris S.El-Hareir

Abstract

Andalusia had foreign trade links with its neighboring and distant neighbors, which led to an increase in its economic prosperity. Where we discussed in this letter the conditions of Andalusia before the Islamic conquest, where we discussed the term Andalusia and its significance, as well as the conditions before the conquest, and when we talk about the factors that helped the economic prosperity, we dealt with the geographical location of Andalusia and the role of economic development, we also mentioned security And the consolidation of Andalusia in the era of the emirate and succession, and its role in the development of agricultural, industrial and urban, and we have demonstrated during our study ports and centers and commercial routes of Andalusia, and money from the role of activating trade in Andalusia. Then we discussed the foreign trade links of the countries of Andalusia and how they differed from region to region according to the security situation of the region. Including relations with Morocco and Sudan, relations with the Levant, European-Andalusian trade relations and, finally, trade relations and Spanish monarchies.

External Trade Relations of Andalusia

(422-138AH / 755-1030AD)

By

Asmaeil Abraheem Abdullah Almijbari

Supervisor

Professor Dr. Idris S.El-Hareir

This Thesis was Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for Master's Degree in History.

University of Benghazi
Faculty of Arts

2019 April